دار الشهد للنشر والتوزيع

آلام الغربة

شيرين مصطفى

الطبعة الأولى
٢٠١٧م

اسم الرواية: آلام الغربة.

اسم المؤلفة: شيرين مصطفى.

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: مصطفى عبد القادر .

تصميم وإخراج فني: همت العزب.

تصميم الغلاف: محفوظ أحمد .

التصحيح اللُّغوي: أولي النُهى للتصحيح اللُغوي (نهى محمود /علاء حجي).

الطبعة الأولى: ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٧/٢٣٩٤٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦١٠-٢١-٧

محفوظة جميع الحقوق

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول.

موبايل / ٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

الإهداء

أُهدي هذه الرواية إلى..

زوجي العزيز: لك كل التحية، وكل التقدير، على وقوفك بجانبي، ومساندتي، ومساعدتي، في مراجعة ما أكتبه.

كما أُهدي هذه الرواية..

لكل من ساعد وشارك في إخراج هذا العمل الأدبي إلى النور.

أُهدي هذه الرواية..

لأبطالها الحقيقيين، الذين ساعدوني في أن تُخرج هذه الرواية صرخة كل مغترب للنور، لعل شعور الاغتراب يزول إلى الأبد.

شيرين مصطفى

مقدمة

ليس الاغتراب الابتعاد عن الأوطان والأهل والسند فقط، ولكن الاغتراب هو قدرة الإنسان على الانفصال عن وجوده الإنساني، وقد عُدَّ الاغتراب ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد، تزداد حدته، ومجال انتشاره، كلما توافرت العوامل والأسباب المُهيِّئة للشعور بالاغتراب؛ نفسيًّا، واجتماعيًّا، ووجوديًّ، إنَّ الفرد حين يغترب من جميع النواحي؛ نفسيًّا، واجتماعيًّا، وعضويًّا، فهو لا يملك سوى ذاته؛ يتمركز حولها، ويلتصق بها، ويعجز عن استثمار إمكاناته، وقدراته، ومواهبه، ولا يستطيع أن يحقق ذاته.

لذلك.. يمكن عَدُّ الاغتراب قضية بالغة الأهمية؛ لكونها أزمة من أزمات الإنسان المعاصر، وهي تكثر لدى شبابنا الذي يعاني من عدم الاستقرار، والضياع، والقلق، وتسيطر عليه قلة تفاؤله اتجاه تحقيق طموحاته.

لكل هؤلاء أهدي هذه الرواية

سميحة

نظرت سميحة لجهاز اللاب توب الخاص بها الذي ابتاعته منذ شهر تقريبًا، وقررت استخدامه أخيرًا بعد أن اشتركت في إحدى شركات *ADSL*، وأنشأت حسابًا لها على كافة مواقع التواصل الاجتماعي، وضعت كامل بياناتها الحقيقية، ووضعت صورها وصور عائلتها عليه؛ كانت بياناتها التي وضعتها هي أنها أنثى في بداية العقد الثالث من عمرها، متزوجة وأم لطفلين. نظرت سميحة لصورتها التي لا تُظهر أبدًا حقيقة عمرها؛ فكل من يراها يجزم أنها في منتصف العقد الثاني من عمرها لا أكثر، وكانت هذه التعليقات تسعدها حقًّا، إذا أمعنت النظر في صورتها وجدتها خمرية اللون، سوداء العينين، محجبة، لا تضع أي نوع من أنواع المكياج، ومع ذلك فهي حقًّا جميلة، كل من يراها يشعر بجمالها من صورتها، يحب أن يطيل النظر إليها؛ ليشعر بالراحة النفسية، ويشعر وكأنه يعرفها منذ زمنٍ بعيد.

أرادت سميحة أن تجد نفسها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنها كانت لا تزال تشعر بأنها مقيَّدة ولا تستطيع أن تكتب ما تريد، أو أن تجد أصدقاء يشاركونها أحزانها وهمومها؛ لذا قررت أن تنشئ حسابًا آخر لا يحمل بياناتها الحقيقية، ووضعت البيانات التي تريدها، وكان حسابها باسم «مُغتربة».

كان ذلك الإسم هو التعبير الحقيقي عن حالة سميحة التي تشعر بها، فهي تشعر بالغربة وسط عائلتها وابنَيْها، لا تشعر معهم بأنها والدتهم، وإنما تشعر وكأنهم غرباء عنها وهي غريبة عنهم، لم تشعر أبدًا بأنها جزء من الأسرة؛ لم تشعر بذلك قبل زواجها في منزل أسرتها، كما لم تشعر به بعد زواجها وإنجاب ابنَيْها أحمد ومحمد، ما زالت تشعر بالغربة، لم تشعر يومًا أنها جزء من كيان يسمى "أسرة".

كانت تشعر دائمًا أنها منبوذة غير مرغوب فيها ولا في وجودها منذ كانت طفلة صغيرة، في أسرتها كانت الأنثى الوحيدة مع ذكرين، كان ترتيبها الثاني، أسرتها مكونة من الحاجّ فهمي السمنودي والدها، والحاجّة فاطمة السمنودي -والدتها وابنة عم والدها- وهما من عائلة السمنودي كبرى عائلات القاهرة، والأخ الأكبر لسميحة هو نجيب وعمره الآن ٣٥ عامًا، وهو يكبر سميحة بعامين، ويعمل مدرسًا في إحدى المدارس الدولية، والأخ الأصغر وفيق وعمره الآن ثلاثون عامًا، ويعمل مهندسًا للبترول في السويس، ويأتي لزيارة أهله يومين كل ثلاثة أسابيع.

لم يتزوج كل من نجيب ووفيق؛ حيث قررا أن يكون لكل منهما اسم في عالم الأعمال أولًا، ثم يأتي الزواج بعد ذلك، ورغم

أن كلًّا منهما حقق هدفه وأصبح مطلوبًا بالإسم في مجاله، إلا أنهما لم يفكرا بعدُ في الزواج، ولكنهما يعلمان في داخلهما أنهما إذا ما قررا الزواج سوف يجدان آلاف العرائس لينتقي كلٌّ منهما عروسه المناسبة، لم يتدخل أي منهما في قرارات الأسرة، بل يَعُدّان هذه القرارات أحكامًا نهائية لا يجوز المناقشة فيها.

أصرَّت أسرة السمنودي على تزويج سميحة وهي لا تزال طالبة في الفرقة الثانية في كلية التجارة، من ابن عمها الذي يكبرها بعشرة أعوام، وكان من كبار رجال الأعمال.

كانت حياة سميحة بعد الزواج حياة رغدة لا ينقصها المال أو الخدم، سمح لها زوجها بإكمال تعليمها الجامعي لتحصل على البكالوريوس وهي متزوجة، أكملت تعليمها الجامعي وكانت متفوقة دراسيًّا، وذات أخلاق يعجب بها الجميع، حملت في طفلها الأول وهي في نهاية السنة الرابعة من الجامعة، وأنجبت طفلها الثاني بعد أقل من عام على ولادة أحمد طفلها الأول.

لم يكن ينقصها أي شيء؛ فغريب السمنودي زوجها كان ينفق عليها بسخاء، ولم يكن بخيلًا قط في الإنفاق، كان بخيلًا فقط في مشاعره وعواطفه، فهو لم يكترث أبدًا بإظهار مشاعره وعواطفه لسميحة أو لولديه.

اشترى غريب لسميحة جهاز اللاب توب الذي طلبته منه، ليشغل وقتها بعد زواجهما بخمسة عشر عامًا، كانت تشعر بفراغ كبير، واعتقدت أن مواقع التواصل الاجتماعي سوف تملأ ذلك الفراغ؛ حيث منعها زوجها من العمل، لعدم حاجة الأسرة له، ولكن الفراغ ظل مسيطرًا على حياتها.

لذلك لجأت سميحة لإنشاء حسابها الجديد «مُغتربة»، ووضعت صورة غلاف حسابها شجرة ذابلة الأوراق في فصل الخريف وقت الغروب، ووضعت صورة الملف الشخصي لها صورة لبيت قديم مُهمَل تتطاير أوراق الشجر الذابلة أمامه في مشهد يغلب عليه اللون الأحمر مع اللون الأصفر، يشعر من ينظر للصورتين أنه أمام شخص هش وضعيف في نهايات عمره، كما أنشأت مجموعة على الفيس بوك سمَّتها «يوميات مغترب». كانت تهدف من هذا الحساب أن تجد من هم على شاكلتها يعانون من الحزن والاغتراب، وكتبت في وصف المجموعة:

"المجموعة دي لكل واحد حاسس بالغربة والوحدة حتى وسط أقرب الناس إليه، المجموعة دي عشان يمكن هنا نلاقي نفسنا اللي ضاعت منا في زحمة الحياة"

واختارت صورة غلاف المجموعة أرجوحة فارغة يحركها الهواء وأوراق شجر ذابلة تذروها الرياح مع اللون الأحمر

والأصفر في تداخل لوني يوحي بشدة الاكتئاب، وكتبت أول منشور في المجموعة:

"أنا مش عارفة أنا ليه حاسة دايمًا بالغربة في وسط أهلي وعيلتي وأولادي، حاسة إني في مكان وزمان مش بتوعي، في زمن غريب عليَّا ومكان أغرب منه، وكمان وسط ناس هما أبعد ما يكون عني رغم إنهم من لحمي ودمي، مش لاقية نفسي معاهم ومش لاقية أصلًا نفسي مش عارفة أنا مين؟! ولا ليه؟! ولا عايزة إيه؟!، حاسة إني غريبة".

بعد أن انتهت سميحة من كتابة منشورها الأول في المجموعة، وجدت طلبات انضمام كثيرة للمجموعة، ووجدت التعليقات تنهال عليها وعلى المنشور وكأنهم كانوا في انتظار من يُذكِّرهم أنهم غرباء، وكان من التعليقات:

ساقي الورد: الغربة عمرها ما كانت غربة مكان، بالعكس الغربة ممكن تكون في بلدك وسط أهلك، وأحيانًا وسط ناس بتحبيهم، بس هما مش حاسين أو شايفين دا، الغربة في الأساس هي غربة مشاعر وغربة أفكار.

مغتربة: عندك حق، رغم إني وسط ولادي وعيلتي وفي بلدي بس حاسة إني غريبة.

مغترب ولكن: يا مغتربة، الغربة مش محتاجة سبب، عشان تكون غريب معناه إنك فقدت إحساسك بالزمان والمكان.

إسلام: رغم إني مسافر ومتغرب عن أهلي وناسي وبلدي، لكن برضه بحس بالغربة وأنا في وسطهم وبتمنى الأجازة تخلص عشان أمشي وأبعد، ومش عارف الغربة دي عشان بعدْت عنهم وألا عشان نسيت هما بيفكروا ازاي، أو يمكن لمَّا بتبعد بتشوف الصورة أكبر وعلى بعضها فبتكره الصورة واللي فيها، بجد مش عارف.

مغتربة: واضح إن الغربة إحساس الناس كلها ومش أنا لوحدي اللي حاسة بالغربة دي.

ساقي الورد: بس خلي بالك إن الإحساس ده لو زاد عندك هتخسري كل حاجة وكل الناس، حاولي تقربي منهم وحاولي تفهميهم.

مُغتربة: طول عمري غريبة، اتولدْت بنت وأهلي كانوا عايزين الولد، رغم إن في ولد أكبر مني وولد أصغر مني بس شايفين إني جيت غلطة، طول عمرهم بيتعاملوا معايا على إني غلطة، وجوزي بيتعامل معايا على إني شكل اجتماعي بس زيي زي أي كرسي في البيت، خصوصًا لمَّا أتأكد إني مش هخلِّف تاني، كأني كل وظيفتي إني أخلِّف وبس، الحمد لله معايا طفلين يعني ما حرمتوش من كلمة بابا، مطلوب مني إيه تاني عشان يحس إني إنسانة وليا

مشاعر وأحاسيس محتاجة حد يملاهم، محتاجة أعيش.

انهالت طلبات الصداقة على سميحة «مغتربة»، كما انهالت عليها الرسائل التي تخطب ودها، وأخرى من أشخاص ينعون حالهم وحالها.

أغلقت سميحة اللاب توب عقب سماعها صوت زوجها، وقد جاء أخيرًا.

غريب: إيه ده يا سميحة؟ كل ده بنادي عليكِ!!

سميحة: معلش كنت مركزة في حاجة كده بعملها على اللاب.

غريب بعصبية: يا دي اللاب! من ساعة ما اشتريته وإنتِ عايشة عليه ليل ونهار.

سميحة: يعني أنا كنت لقيت حاجة تشغلني وقلت لأ؟ ده حتى الشغل معاك منعتني منه.

غريب بعصبية شديدة: هو الموال ده مش هيخلص بقى، مش هنبطل كلام فيه، هو إنتِ ناقصك حاجة؟ وألا بتطلبي حاجة مش بتلاقيها؟

سميحة: أيوه ناقصني.

غريب: ناقصك إيه إن شاء الله؟

سميحة: ناقصني إنت، ناقصني إني ألاقي زوجي جنبي

ومعايا زوج يحسَّسني إني لسه عايشة وموجودة، مش مجرد شكل اجتماعي وخلاص، ومش مجرد وسيلة عشان تجيب الولد، وبمجرد ما بقيت مش قادرة أجيب أطفال بعدت عني حرام عليك.

غريب بعصبية شديدة: نفس الكلام مش بيتغير، بقالك على الكلام ده أكتر من أربع سنين ومش عايزة تغيري نفس الكلام، كل مرة تقلبيها خناق على نفس الموال، الشغل مرة، ومرة أصل إنت مش واخد بالك مني، أصل مفيش بيننا علاقة من بعد ما خلفت محمد وعرفت إني مش هخلف، غيَّري بقى الأسطوانة دي أصلي حفظتها.

سميحة: أنا بطالب بحقي يا غريب، حقي إني أسمع منك كلمة حلوة، حقي إني أحس إني زوجة وزوجها بيحبها، حقي إني ألاقيك وقت ما أحتاجك، مش أشوفك وقت ما أنت تكون عايز مني حاجة تاخدها وتجري، حتى دي بقالك أربع سنين محسَّسني إني مش ست زي باقي الستات، أنا تعبت يا غريب، تعبت حرام عليك.

غريب مولِّيًا ظهره لسميحة ومتجهًا للباب: مفيش فايدة فيكِ يا سميحة، مفيش فايدة، أنا خارج وهغور من وشك وكلامك اللي زي السم اللي بيخليني أهرب من البيت.

خرج غريب وصفع الباب خلفه، وظلت سميحة تبكي وتنعي حظها كما اعتادت منذ أن ولدت ابنها محمد، الذي يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا؛ حيث أجرت جراحة لاستئصال الرحم وهي تلده عقب إصابتها بنزيف شديد أثناء الولادة التي تمت قبل موعدها بشهر كامل، واضطر الطبيب لوضع محمد في الحضَّانة لاستكمال نموه هناك، واستئصال رحم سميحة حفاظًا على حياتها.

حزن غريب بشدة؛ حيث كان يأمل أن يُرزَق بالكثير من الأطفال، ولكن بسبب استهتار سميحة بأوامر الطبيب -كما يرى غريب- كُتِب له أن يُرزَق بطفلين فقط، فهو يعتقد أنها السبب في الولادة المبكرة لعدم التزامها بأوامر الطبيب بالراحة التامة.

ولكن حقيقة الوضع أن سميحة كانت تحتاط جيدًا في حملها، وتخاف عليه، فهو قطعة منها، وتشتاق إليه أكثر من اشتياق غريب له، ولكنها أرادت متابعة الخدم في أعمال المنزل، وصنع الطعام، وأثناء تفقُّدها لأمور المنزل شعرت بآلام المخاض والنزيف.

كانت سميحة قد سئمت النوم طوال شهور حملها، ولم تكن تتوقع أن يكون الحمل الثاني ضعيفًا بما يحتاج نومها فترة الحمل كاملة، كانت تعتقد أن أوامر الطبيب بالراحة التامة من

قُبيل الاحتياط، ولكنها لم تدرك خطأ اعتقادها إلا بعد بدء النزيف، كانت تراعي طفلها الأول الذي لم يكمل عامه الأول بعدُ وحملًا عمره ثمانية أشهر، قرر الجنين أن ينهي فترة مكوثه في رحم أمه، ويخرج للنور في ذلك الوقت، ولكنه خرج وأخذ رحمها معه.

اتصل الخدم عند بدء نزيف سميحة بغريب، الذي اتصل فورًا بالإسعاف وطبيب سميحة المشرف على حملها، وبعد ذهابها للمستشفى وجد الطبيب ضرورة أن تلد سميحة قيصريًّا، وبعد الولادة طلب توقيع غريب على استئصال الرحم لزوجته لخطورة حالتها، وافق غريب على العملية ولكنه ظلَّ يحمِّلها ذنبًا ليس لها يد فيه.

الزوجة الثانية

بعد أن خرج غريب من المنزل ذهب لزوجته الثانية وفاء، التي لا تعلم زوجته الأولى عنها شيئًا، كما لا يعلم عنها أي من عائلة غريب.

يعمل غريب في تجارة البن، يجني منها ما يغنيه ويغني عائلته من بعده لعدة أجيال متعاقبة، لم يتزوج غريب حتى أنهى تعليمه الجامعي وبدأ عمله الخاص، بدأ عمله بشركة صغيرة لتجارة البن واستيراده، ثم بدأت هذه الشركة تكبر رويدًا رويدًا حتى صارت من كبرى الشركات، ركز غريب كل اهتمامه على شركته وعمله حتى وصل عمره ٢٨ عامًا؛ أي بعد مرور سبع سنوات على تخرجه من كلية التجارة، قرر الزواج بابنة عمه سميحة.

وجد غريب في سميحة ابنة عمه الزوجة الجميلة المطيعة التي من دمه، القادرة على الحفاظ على بيته، وملء منزله بالأطفال؛ حيث كان غريب يحلم بكثير من الأطفال يكبرون ويساعدونه في تجارته، رأى أن سميحة هادئة ومطيعة طلب من والدها أن تكمل تعليمها ولكن في بيتها الجديد، بيت الزوجية، وبالفعل وافق عمه على تزويجه من سميحة على أن تكمل تعليمها الجامعي وهي زوجة رجل الأعمال غريب السمنودي.

لم تحمل سميحة بعد مرور عام على زواجها، وشكَّ غريب في الأمر، وبدأ التردد على عيادات أطباء النساء والتوليد ومع الفحوصات والتحاليل التي تؤكد قدرتهما على الإنجاب، أدى ذلك لزيادة ريبته أن تكون زوجته تمنع الحمل دون علمه، راقبها وتأكد أنها لا تفعل، فترك الأمور بيد الله، حتى شعرت سميحة بالتعب وهي في بداية السنة الرابعة من الزواج، وكانت في امتحانات نصف العام الدراسي ووقعت في الكلية وشعرت بغثيان وعدم قدرة على الوقوف، فاتصلت بزوجها، الذي ذهب بها مباشرةً للمستشفى للاطمئنان على صحتها، لقد أحبها غريب، ولكنه لم يقل لها يومًا هذه الكلمة، كان يشعر أن الحب أفعال لا أقوال، وفرح كثيرًا عندما كانت نتيجة الفحص في المستشفى "مبروك، المدام حامل"، كم أسعدته هذه الكلمة، طار من فرحه وسعادته، ثم أخبر والديه ووالدَيْ سميحة وأخوَيْها.

غريب هو أكبر أطفال عائلة محمد السمنودي، لم ينجب والده من بعده سوى نهاد السمنودي، أخته التي تصغره بثماني سنوات، غريب أسمر البشرة، طويل، عريض المنكبين، خشن الشعر، تعرف أنه مصري بمجرد النظر لوجهه، ولأن غريب كان ولدًا وحيدًا أراد أن يكون له الكثير من الأولاد الذكور، ما زال

يؤمن بأن الذكر أفضل من الأنثى، الأنثى تعني له حِملًا وهمًّا ثقيلًا، أما الولد فهو سند، هكذا يعتقد.

بعد أن حملت سميحة في ولدها الأول، جلب غريب المزيد من الخدم لخدمتها وراحتها حتى تستطيع المذاكرة والراحة، كان اهتمامه بحملها أكثر من اهتمامها هي به، أنهت امتحاناتها وكليتها وحصلت على تقدير عام جيد، ثم تحولت لربة منزل ترعى طفلًا صغيرًا رضيعًا، طلب منها غريب ألا تستخدم أي وسائل لتأخير الإنجاب، وانصاعت بالفعل لرغبته؛ حيث كان يأمل في ولدٍ ثانٍ، لقد أغدقها بالهدايا عندما أنجبت الذكر الأول، وينتظر الحمل الثاني، ويدعو الله ألا يتأخر الحمل الثاني كما تأخر الحمل الأول.

حملت سميحة في طفلها الثاني محمد قبل مرور عام على ولادة طفلها الأول أحمد، وفرح غريب جدًّا بهذا الحمل، إلا أن حملها -كما أخبره الطبيب - ضعيف ويحتاج لراحةٍ تامة في الفراش، وجد غريب أن زوجته سميحة لم تكترث لتعليمات الطبيب، وأرهقت نفسها في أعمال المنزل التي يقوم بها الخدم.

يعيش غريب في فيلا من دورين في إحدى المدن الجديدة لها حديقة واسعة، لها من الخدم مَنْ يقوم على الاعتناء بها وتزيينها، الدور الأول مخصص لاستقبال الضيوف، وبه غرفة السفرة،

وغرفة مكتب خاصة بغريب، وأخرى خاصة بسميحة، ومكتبة للكتب التي تفضلها، وغرف لنوم للضيوف، أما الدور العلوي فهو مخصص لغرفة المعيشة، وغرف نوم للأطفال، وغرفة نوم لسميحة وغريب، وغرف مُعَدَّة لزيارة والدَيْهما.

عندما استأصلت سميحة الرحم شعر غريب أنها مذنبة فيما حدث؛ لإهمالها تعليمات الطبيب، وبدأ يزهد فيها ويبتعد عنها، لم يعد يشعر أنها الأنثى التي تملأ حياته، وفجأة تحول الحب إلى اعتياد، لم تقم سميحة بأي شيء لكسر هذا الروتين، حتى تعرَّف على وفاء زوجته الثانية، التي تزوجها منذ أربعة أعوام.

تزوج غريب من وفاء التي تعمل لديه في الشركة، جاءت لتتدرب على المحاسبة في الشركة بعد أن توسَّط لها أخوها الذي يعمل في إدارة الحسابات في الشركة، ثم تعمل بعد تخرُّجها هناك. وافق غريب على تدريبها وتابعها بنفسه، وجد فيها الجمال وخفة الروح التي جذبته لها، تقدَّم لها بعد تخرجها في كلية التجارة ووافق أخوها على زواجها، كانت يتيمة الأب والأم وليس لها سوى ممدوح أخيها الأكبر الذي تولى رعايتها بعد وفاة والديهما، وكان زواج وفاء يمثل له إزالة عبء كبير عن كاهله، يخاف أن يتزوج قبلها فتكون زوجته عبئًا على أخته، أو تصبح أخته عبئًا

على زوجته وسببًا للمشاكل؛ لذا قرر عدم الزواج إلا بعد أن تتزوج أخته.

وعندما تقدَّم لها غريب، كانت فرصة لأخته كما رآها ممدوح، رغم طلب غريب أن يكون الزواج سرًّا، ومنذ ذلك الحين زهد غريب سميحة وتخلى عن واجباته الزوجية ناحيتها.

ورغم أن غريب لا يترك وفاء إلا أوقاتًا قليلة، فهو يقضي معها معظم الوقت، ويذهب لها يوميًّا، ولا يذهب لمنزله الأول إلا على أوقات النوم، وفي أوقات قليلة يمكث مع ابنَيْهِ اليوم كاملًا، بدأت وفاء تشعر بالغربة في بيتها الجديد، الذي لم تشعر حتى الآن أنه بيتها ومملكتها الخاصة بها، شعور الغربة قتلها مما جعلها تنشئ حسابًا على الفيس بوك وتسميه "غريبة بلا وطن"، وأثناء تصفحها الفيس بوك وجدت ترشيح المجموعة لها، فاشتركت بها.

وفاء

جروب يوميات مغترب..

غريبة بلا وطن: حلٌّ وترحال هو حالي، أرحل من وطن إلى وطن ومن بلد إلى بلد، فلا أجد سوى ترحال، فبلاد الغربة أوطاني، أجوب بلاد الغربة فلا أجد بها وطنًا، فأعاود الكرة في حلٍّ وترحال فلا أجد لي وطنًا، وهذا هو حالي.

جاءت التعليقات على المنشور سريعة.

مغتربة: جميلة الكلمات ومعبرة جدًّا.

ساقي الورد: واضح من الكلمات إنك مش بس مغتربة، إنتِ كمان مش عارفة إنتِ عايزة إيه.

غريبة بلا وطن: شكرًا ليكِ مغتربة.

غريبة بلا وطن: ساقي الورد، أنا فعلًا مش عارفة أنا إيه ولا عارفة فين وطني اللي بدور عليه، ولا حتى أعرف شكله إيه، كل اللي أنا عارفاه إني حاسة بالغربة في بلدي ووسط أهلي، الغربة هي رفيق دربي.

إسلام: أنا بقى غربتي في وطني ووسط أهلي، بس لقيت في بلاد الغربة أوطاني.

مغترب ولكن: عندك حق يا غريبة بلا وطن، كلامك لخَّص حالنا كلنا.

غريبة بلا وطن: كلامي طلع كله من قلبي، أنا والغربة أصحاب من صغري، على فكرة، فكرة الجروب ده جميلة وشكلها هتجمعنا كلنا، يمكن نلاقي نفسنا هنا في الجروب.

مغتربة: أنا عملت الجروب عشان يبقى ملاذ ليا ولكل واحد حاسس بالغربة، أي نوع من أنواع الغربة، يمكن مع بعض نقدر نبعد عننا إحساس الغربة اللي مالي قلوبنا.

إسلام: أنا فعلًا بحس إني مش غريب هنا في الجروب بنتكلم ونتناقش في حاجات كتيرة، وده بيخليني حاسس إني عايش وإني مش مجرد بنك فلوس وبس.

مغتربة: أنا بقى حاسة إني مجرد وعاء كل وظيفته إنه يجيب أولاد وبس، لكن مجرد ما بقيت مش قادرة على الحمل والولادة انتهى دوري وبقيت مجرد كرسي في البيت وشكل اجتماعي، حتى ولادي حاسة إني غريبة عنهم مش أنا اللي بهتم بيهم، اللي بيهتم بيهم من صغرهم وبيراعيهم الخدم في البيت، حاسة إني مليش أي لازمة أو وجود، ولمَّا بتكلم مع زوجي عشان أقلل الفجوة بينا وأوصَّله شعوري يتخانق ويسيب البيت، حاسة إنه

اتجوز عليا من بدري بس خايفة أواجه زوجي بشعوري ده؛لأنه بالنسبة ليا شبه يقين، على الأقل دلوقتي مش بيبات بره لكن لو كان متجوز بجد وأنا عرفت هيبات بره ويتقسم الوقت بينا، وخايفة ييجي اليوم اللي يواجهني فيه بجوازه من واحدة تانية مش عارفة وقتها هعمل إيه.

ساقي الورد: متعمليش أي حاجة، خليكي زي ما أنتِ واطلبي منه إنه ينام في وسط ولاده زي ما هو معودهم؛ لأن واضح من كلامك إنه مهتم بيهم جدًّا وبيخاف عليهم قوي، خليهم نقطة ضعفه اللي تقدري تضغطي عليه بيها عشان مصلحتهم.

غريبة بلا وطن: مش عارفة أقول لك إيه، أنا زوجة تانية وزوجي مش عايز يعرَّف مراته الأولى إنه اتجوز عليها عشان ميجرحش شعورها، وكمان أولاده ما يتأثروش بغيابه، أنا حاسة بيكِ وبالنار اللي إنتِ فيها لمَّا يكون زوجك مع واحدة تانية غيرك، رغم حبه ليَّا لكن حبه لبيته وأولاده أكتر مني، مش هقدر أقولك غير كان الله في عونك.

إسلام: تقريبًا كده مش أنا لوحدي اللي مغترب، واضح إن كلنا مغتربين بس بطرق مختلفة، كل واحد مغترب بشكل ونوع مختلف عن التاني، وكل واحد عنده آلامه وأوجاعه.

مغـترب ولكـن: علـى فكـرة يـا جماعـة، مـن الأول واحنـا عارفين إن الغربة ليها أكتر من نوع وشكل، بس أكتر واحد بيعاني هو اللي بيعاني من أكتر من نوع غربة في وقت واحد، لمَّا تكون الغربة غربة أهل ووطن وغربة عن الذات، ساعتها صدقوني الغربة بتكون مرار المرار.

في وسط هذه التعليقات دخل غريب على زوجته الثانية وفاء، والتي أغلقت حاسوبها بمجرد سماعها لصوت غريب، وجرت على غريب تحتضنه وتضع رأسها على صدره وتدفنها فيه، هربًا من وحدتها وشعورها بغربتها عن منزلها عندما تكون وحيدةً به، فحُضن غريب بالنسبة إليها كالماء الذي يجده الظمآن التائه في الصحراء المقفرة في شمس الظهيرة، تجد في حضنه الدفء والحب الأبوي الذي افتقدته منذ وفاة والدها.

تصغر وفاء غريب بخمسة عشر سنة، عندما كانت في السنة الثالثة في الكلية، وافق غريب على تدريبها بالشركة على أن تتسلم عملها بالشركة بمجرد تخرجها من الكلية، في تلك الأثناء تقرَّب منها غريب، وأحبها، وأراد أن يتزوجها؛ علَّها تنجب له الأطفال الذين حرمته منهم سميحة.

وفاء: وحشتني قوي يا غريب، كنت بدعي ربنا إنك تيجي، والحمد لله ربنا استجاب ليا.

غريب وهو يحتضنها: بتحبيني فعلًا قوي كده يا وفاء؟

وفاء: طبعًا، إنت كل حاجة ليا في الدنيا دي، إنت عوضتني عن حاجات كتير، وأهمها الأمان والحب والعطف اللي كنت نسيتهم بعد لمَّا أبويا الله يرحمه اتوفى.

غريب: أنا كمان بحبك قوي، بس كلمة بحبك نفسها أقل بكتير من المشاعر اللي حاسسها ناحيتك، كل كلام الحب قليل عن اللي أنا حاسه.

وفاء وهي متمسكة بحضن غريب: بحبك، وبتمنى أفضل في حضنك دايمًا مخرجش منه.

غريب: ربنا يخليكي ليا.

وفاء: ولا يحرمني منك أبدًا، يالا ادخل غيَّر هدومك على ما أحضَّرلك الغدا.

غريب: بسرعة أنا واقع من الجوع.

وفاء: حاضر.

أعدَّت وفاء الطعام، ووضعته على المائدة، ونادت على غريب ليتناول معها الغداء، كانت تحمل همَّ تناوُلها الطعام وحيدة، تتشوق دائمًا للأيام التي يتناول فيها الطعام معها، والأيام التي يبيت فيها معها، تعلم أنها أيام قليلة يأخذ فيها غريب أجازة

من الشركة وكذلك تفعل هي؛ ليقضيا أوقاتًا مسروقةً من الزمن معًا، يخبر فيها غريب سميحة أنه مسافر لإنجاز بعض الأعمال.

تتمنى وفاء أن تحمل من غريب، ويكون لها أولاد منه، ولكن في نفس الوقت تتعجب كيف تحمل من والدها، حتى الآن لم ينعم عليها الله بالأولاد، ذهبت كثيرًا للأطباء لتعلم السبب وراء تأخُّر حملها، وكانت النتيجة أنها سليمة ولا شيء بها وأنها مشيئة الله، كم تخاف أن يتركها غريب أو يتزوج عليها ليحصل على الأطفال، تعلم أنه تزوَّجها ليس حبًّا فيها وإنما رغبةً في الذرية، تعلم أن زوجته الأولى لم تعد قادرةً على الإنجاب؛ لذا تزوج غريب من أخرى، وهي تذكر جيدًا أن زواجها لن يظهر للعلن حتى يحدث الحمل، ولكنها تعلم داخلها أن حبها لغريب ليس حبًّا رومانسيًّا بقدر ما هو تعويض لها عن فقدان والدها.

عندما قبلت الزواج به، كانت تعلم أنها أصبحت عبئًا ثقيلًا على كاهل أخيها، وأن زواجها هو السبيل الوحيد لرفع هذا العبء عن كاهله، فوافقت لكي تترك له حرية البحث عن شريكة حياته، عندما تعرَّفت على غريب رأت فيه والدها، ووجدت أنه يعوضها عنه بحنانه، ولكنها كثيرًا ما كانت تسأل نفسها: هل الحب الذي تشعر به تجاه غريب هو حب أبوي فقط؟ أم أنها

تحبه فعلًا حب العاشقين المحبين؟! وكانت الإجابة التي تجدها دائمًا أنها تحبه كما كانت تحب والدها، عرفت ذلك عندما احتضنها أول مرة بعد زواجهما، عندما ضمها إلى صدره، شعرت أنها في حضن والدها، ولكن عندما بدأ غريب يأخذ منها حقه الشرعي، ورغم عدم ممانعتها لذلك، كانت تشعر أنها تفعل شيئًا محرَّمًا، كيف تفعل ذلك مع والدها؟ كيف يأخذها والدها بتلك الطريقة؟ لم تستطع المقاومة أو الرفض، وكذلك لم تستطع التجاوب مع غريب كأنه حبيب لها، ومع الوقت أصبحت العلاقة الزوجية قائمة على احتياج غريب لها كزوجة واحتياجها له بوصفه أبًا؛ لذا كانت تعطيه جسدها في مقابل الأمان والعطف الأبوي الذي تريده.

كانت تشعر في داخلها أن علاقة مثل هذه العلاقة لن تثمر عن أطفال، كيف تسفر علاقة اغتصاب عن أطفال؟ كيف تثمر علاقة حب محرَّمة أطفالًا؟ كيف تنجب ابنة من والدها؟ إنه الحرام نفسه، كما ترى غريب على أنه مغتصب لها، فهل يهتم المغتصب بالأطفال؟ أم أنه يهتم فقط كيف يحصل على متعته؟ كان ذلك هو شعورها تجاه العلاقة الزوجية مع غريب، ولكنها كانت تتعجب من شعورها بالغيرة عندما يذهب لزوجته الأولى، رغم علمها من غريب أنه زهد في سميحة بعد زواجه منها، ولكنها كانت تغار من

سميحة ومن أولاده، وتحمد الله أن غريب تركها تعمل في الشركة ولم يطلب منها ترك العمل، إلا أن ذلك كان يعني لها شيئًا واحدًا، أنها نزوة مؤقَّتة في حياة زوجها وسرعان ما سيتخلى عنها.

وفاء: غريب، إنت بايت عندي النهاردة وألا هتروح البيت التاني؟

غريب: لأ، هروح بس مش دلوقتي، هروح بالليل متأخر على ميعاد النوم على طول، إنتِ محتاجة حاجة؟

وفاء: لأ يا غريب بطمن بس، كان نفسي تبات معايا، ما تعرفش ببقى خايفة إزاي وأنا لوحدي هنا وإنت بعيد.

غريب: بعد السنين دي ولسه بتخافي يا وفاء، المفروض إنك إتعودتي، عمومًا ممكن تبقي تروحي تبيِّتي عند ممدوح يومين لو عايزة.

وفاء: لا خليني في البيت أحسن، إيه رأيك تاخد أجازة يومين ونسافر أي مكان نقضي اليومين مع بعض، إنت وحشتني قوي.

غريب: بجد بوحشك يا وفاء؟

وفاء: طبعًا يا حبيبي.

غريب: أُمَّال ليه لما بتبقي معايا بحس إني باخدك غصب؟ بحس إنك مش معايا وإنك بتحاولي تهربي مني بأي طريقة، والأغرب لما بحضنك بحس إنك بتهربي من الدنيا في حضني.

وفاء: إزاي بس يا غريب؟ في حضنك أنا بحس بأمان الدنيا كله وببقى مش عايزة أخرج منه، وفي العلاقة إنت عارف إني ببقى مكسوفة ومحرجة.

غريب: لغاية دلوقتي بتتكسفي مني؟

وفاء: معلش يا غريب، استحملني شوية.

كانت تعلم وفاء أنها تكذب على غريب، فهي تشعر في كل مرة يقربها أنه يغتصبها، وأنها لا تريد منه سوى الحضن الدافئ والأمان، أما العلاقة الزوجية فهي مجبرةٌ عليها لسبب بسيط هو أن غريب زوجها وليس والدها، الحقيقة التي كانت تقولها لنفسها مرارًا كي لا تكره غريب، فهو لا يطلب سوى حقه الشرعي الذي وافقت عليه بموافقتها على الزواج منه.

أما غريب فكان يحاول أن يقنع نفسه دائمًا أن وفاء ما زالت تشعر بالخجل منه، رغم أنه يشعر في قرارة نفسه أنها تكذب، يعلم أن فارق السن كبير بينهما وأنه بالنسبة لها كوالدها، ولكنه يحبها، وهي الآن الملاذ الوحيد أمامه لقضاء شهوته؛ فسميحة الآن أرض بور لن تثمر مهما ارتوت بالماء، أما وفاء فهي شابةٌ صغيرة وما زالت أرضًا خصبةً تصلح لبذل الجهد فيها للحصول على ثمارها.

لم يهتم غريب بتأخر حمل وفاء؛ فهو يعلم أنه غير منتظم في علاقته معها، ولكنه في الفترة الأخيرة قرر ألا ينتظر أكثر من هذا،

فهو يريد المزيد من الأطفال؛ لذا قرر أن يوافق على اقتراح وفاء بالسفر وقضاء الوقت معًا، ولكنه أراد أن يكون ذلك عقب حيضها، وقرر أن يكون السفر لمدة ثلاثة أسابيع يقضيها معها في علاقة زوجية وخروج علَّها تحمل منه في تلك الأثناء، كما ذهب لطبيب أمراض ذكورة لكي يعرف هل ما زال قادرًا على الإنجاب أم أنه يحتاج لعلاج؟

ذهب غريب بالفعل للطبيب وأجرى الفحوصات اللازمة، وكانت المفاجأة أن مشكلة تأخر حمل وفاء سببها هو، طمأنه الطبيب أن هذه مشكلة بسيطة وتُحَل مع الانتظام في العلاج، وبالفعل بدأ غريب في تناول العلاج وسافر مع وفاء إلى شرم الشيخ ثم إلى دهب ليتمتعا هناك بجمال الطبيعة وسحرها وهدوئها.

رغم فرح وفاء بالسفر وقضاء الوقت مع غريب إلا أنها كانت تشعر بالقهر، فهو لم يترك يومًا دون علاقة زوجية، وكان بمثابة عبء ثقيل عليها، نعم، هي تحبه ولكنها تحبه كوالد، أحيانًا تشتاق إليه كزوج ولكن ليس بهذا القدْر، كما أنها تشعر أن غريب ليس على طبيعته، رأته يأخذ أدوية وعندما سألته عنها غيَّر مجرى الحديث ولم يجبها، وكانت تدعو الله أن تمر الأجازة سريعًا حتى يهدأ غريب ويتركها تتنفس الصعداء، كم تمنت أن يكون لها

أخت تستطيع أن تشكو لها ما تشعر به، كم أرادت أن تخبر غريب نفسه بما تشعر به علَّها تجد لديه الحل، ولكنها استقرت على البحث عن طبيبة نفسية تساعدها على تخطي ما تشعر به من مشاكل وإحباط.

فرح غريب بتلك الفترة التي قضاها مع وفاء، رغم شعوره من نفورها من العلاقة وشعوره باغتصابه لها في كل مرة يأتيها فيها، إلا أن نفورها ذلك وفوزه عليها في الحصول عما يريد، جعله يشعر بنشوة الصياد الذي يطارد فريسته ويحصل عليها في النهاية، نشوة المنتصر، كانت آهاتها وآلامها أثناء العلاقة بمثابة الحافز له، وكان يسعد عندما يتحول الرفض في بداية العلاقة إلى استمتاع له وانتصار بالحصول على ما يريد، لقد أصبحت متعة غريب في الحرب للحصول على ما يريد.

بعد انتهاء فترة الأجازة عاد غريب ووفاء لحياتهما الطبيعية، كم سعدت وفاء ببعد غريب عنها لمدة ثلاثة أيام كاملة قضاها مع زوجته وأولاده، بحثت خلالها وفاء عن عيادة طبيبة نفسية؛ لكي تساعدها على تخطي هذه المشاكل التي قد تُفسد عليها حياتها مع غريب، هي لا ترغب في أن تفقده كأب لها، وتعلم أنه لا يريدها ابنة، فهو يريدها زوجة، تريد أن تصل لحل وسط في هذه العلاقة.

عودة

أخيرًا حدثت علاقة بين سميحة وغريب، بعد ابتعاد دام أربع سنوات، لم تعلم سميحة سبب إقبال غريب عليها، ولكنها سعدت بذلك وبذلت قصارى جهدها كي تسعده، لقد كانت تريده بشدة، أخيرًا شعرت أنها أنثى مرغوبة، وتجاوبت مع غريب كما لم تفعل من قبل.

لقد شعرت سميحة أنها صبيةٌ صغيرة، عاد لها شبابها الذي شعرت بافتقاده مرةً أخرى، لقد شعرت أخيرًا بوجودها، وحصلت على زوجها وظنَّت أنها استعادته، أما غريب فقد استغرب رغبة سميحة به وإقبالها عليه وعدم نفورها منه، كما استغرب رغبتها في إسعاده التي سيطرت عليهما، شعر بفارق في علاقته مع سميحة وعلاقته مع وفاء، لكل منهما حلاوتها الخاصة وسعادتها بالنسبة إليه، تجمُّل سميحة له وطلبها له جعله يشعر أنه ما زال مطلوبًا ومرغوبًا فيه، ونفور وفاء من العلاقة وشعوره بلذة الانتصار لها لذة أخرى، لقد أتى دواء الطبيب بمفعول آخر جعله متشوق دائمًا للعلاقة، وجعله ينهل من بحار العسل لكلا زوجتيه، وقرر غريب ألا يترك سميحة مرة أخرى.

بعد مرور بضعة أسابيع على عودة غريب ووفاء من شهر العسل الجديد، عرفت وفاء بحملها، كم سعدت أنها ستصبح أمًّا وتجرب ذلك الشعور الذي تحلم به كل أنثى، وكم خافت من رد فعل غريب على حملها، هل سيعلن زواجه منها أمام الجميع؟ أم أنه سينتظر حتى تضع مولودها؟ هل سيتغير وعد غريب بإعلان زواجه منها إذا وضعت أنثى ولم تضع الذكر؟ هل ستحب وليدها حقًّا أم ستشعر أنه جاء نتيجة علاقة محرمة؟ أسئلة كثيرة دارت بخلدها، لم تعرف لها إجابة وخافت من إجابتها، لم تتمالك نفسها من كثرة الأسئلة وأمسكت بهاتفها وطلبت أخاها ممدوحًا، وأخبرته بحملها، وطلبت منه الاتصال بغريب وإخباره بالحمل.

فرح ممدوح بحمل وفاء، أخيرًا سيصبح خالًا لطفل صغير يداعبه ويلاعبه ويخرجان سويًّا، امتلأ رأس ممدوح بالأحلام الوردية ولكنه عاد لعالمه مرة أخرى، وخاف ألا يعلن غريب زواجه من أخته، إذا لم يحدث ذلك كيف سيبرر هو وأخته الحمل، إن الحمل من الأشياء صعبة الإخفاء، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يطلب رقم غريب، كان غريب في تلك الأثناء في المنزل مع سميحة ويقضي الوقت مع ولديه ويتحدث معهما.

ممدوح: أستاذ غريب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

غريب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إزيك يا ممدوح؟ خير! في حاجة في الشغل؟

ممدوح: خير إن شاء الله، وفاء كلمتني دلوقتي، لسه راجعة من عند الدكتورة وقالت لها: إنها حامل.

لم يتمالك غريب نفسه من الفرحة وقال: طيب أنا نازل دلوقتي ورايح هناك.

ممدوح: هنتظرك هناك.

أنهى غريب المكالمة مع ممدوح، وعاد مرةً أخرى للحديث مع زوجته وأولاده.

غريب: معلش يا أولاد، أنا لازم أنزل دلوقتي.

سميحة: خير يا غريب! في حاجة؟

غريب: لما آجي هنتكلم، أنا نازل دلوقتي مستعجل.

سميحة: طيب ابقى طمني في إيه.

غريب: حاضر.

لا تعلم سميحة لماذا انقبض قلبها عندما رنَّ الهاتف؟ وظنت أن هناك شيئًا غير مبشِّر، ولكن علامات السعادة والبشر والسرور على وجه غريب توحي بعكس ذلك، كل العلامات على وجهه توحي بخير كثير وحدث مفرح عظيم.

زهرة

جروب يوميات مغترب..

زهرة الياسمين: أول مرة في حياتي أشارك على الفيس، لكن المجموعة ومشاكل الناس هنا حسيت إن عندي نفس المشكلة، أنا شفت رسالة على محمول زوجي من واحدة مستنياه عشان يروح لها، هو خاين، وعشان كده قررت أن أرد على الخيانة بالخيانة، أنتظر رأيكم.

لم تكن تريد حقًّا أن تكتب ما كتبته، ولكنها لم تعلم أن ذلك كان بداية تمرد الأنثى بداخلها على أوضاع تنتهك أنوثتها، الأنثى بداخلها أعلنت التمرد والعصيان، حتى التمرد على زهرة نفسها، كانت تلتمس آلاف الأعذار لزوجها في غدره بها، ليس حبًّا فيه ولكن حفاظًا على كبريائها.

زهرة في العام التاسع والعشرين من عمرها، ذات ملامح مصرية أصيلة، قمحاوية البشرة، متوسطة الطول، ليست بالبدينة ولا النحيفة، ترتدي الحجاب وتحفظ القرآن الكريم، تخرجت في كلية الآداب قسم الفلسفة، وتعمل مدرسة للفلسفة في إحدى المدارس الثانوية.

تزوجت من عادل زميلها في المدرسة، يُدرِّس مادة الأحياء، يكبرها بثلاثة أعوام، هو أيضًا ملامحه مصرية، عندما تراه في أي بلد أو أي مكان تقسم أنه مصري الجنسية، عادل له نفس صفات زهرة الجسمانية غير أنه أطول قليلًا ومفتول العضلات، تراه فتيات المدرسة وسيمًا، وإنصافًا للواقع هو أقرب ما يكون للوسامة، ولكنه ليس عمرو دياب أو أحمد عز، كان ذلك رأي زهرة عندما سألتها عنه والدتها بعد أن تقدم لخطبتها، هكذا كانت هي تراه.

عادل مدرس حازم مع طالباته، يتقن عمله في المدرسة ويراعي الله في عمله، يعطي دروس التقوية ومجموعاتها، طيب القلب، يعشق زهرة من كل قلبه، ولكنه بسبب الدروس والمجموعات، نادرًا ما كان يستطيع أن يحادثها إلا في وقت الإفطار الذي يتناولانه على عجل.

أما زهرة فهي خجولة بطبعها، شديدة الحياء، تراعي الله في طالباتها وعملها، تعطي بعض مجموعات التقوية، ولكنها تعتذر عن الدروس؛ نظرًا لانشغالها بأعمال المنزل ورعاية والدة عادل التي تقيم معهما.

الحالة المادية لهما تجعلهما من الطبقة الوسطى الأقرب للأغنياء، لدى كل منهما سيارة خاصة به ورصيد بنكي، وخادمة

تراعي شئون المنزل أثناء غياب زهرة، اشترك لها عادل في أحد النوادي الكبيرة، ولكنها قليلًا ما كانت تذهب إلى هناك؛ لأنها دائمًا تذهب وحدها؛ نظرًا لانشغال زوجها بالدروس الخصوصية.

رغم انشغال زهرة الدائم في العمل والمنزل والخروج، إلا أنها دائمًا ما كانت تشعر أنها وحيدة، ليس لها أصدقاء، نظرًا لخجلها وانطوائها، تربَّت زهرة منذ نعومة أظفارها على العزلة والانطوائية، هي وحيدة والديها.

تُوُفِّيَ والد زهرة وهو عائد من عمله على العبّارة السلام، كان يعمل في المملكة العربية السعودية وكان عائدًا على متن العبارة، ومنذ ذلك الوقت ووالدتها كرَّست لها حياتها، كانت هي الوالد والوالدة، كانت لها كل شيء، لم تتزوج والدتها وقررت أن تهب حياتها لابنتها، وكانت زهرة تحب والدتها كثيرًا فكانت لها الوالدة والصديقة، ومنذ وفاة الوالد لم تكوِّن زهرة أي صداقات واكتفت بوالدتها ودروسها، كانت حياتها تمضي بقرارات والدتها.

اختارت لها الوالدة كل شيء في حياتها، الحجاب وحفظ القرآن، حتى في الثانوية العامة اختارت لها القسم الأدبي، لم تعترض زهرة أبدًا على قرارات والدتها، اعتقادًا منها أن أمها تعرف أفضل منها في كل شيء.

اختارت لها أمها الكلية أيضًا، والمدرسة التي تلتحق بها للعمل بعد التخرج، وأخيرًا اختارت لها زوجها الذي تزوجته، توفيت والدتها بعد زواجها كأنها كانت تنتظر أن تتم رسالتها مع ابنتها؛ لتفارقها وهي في كنف رجل مسئول عنها، شعرت الأم بحبه لابنتها فأبت إلا أن تزوجها له، رغم أن أحواله المادية لم تكن كما هي عليه الآن، وقبل وفاتها جعلته يقسم لها أن يراعي ابنتها وألا يجعلها تحتاج لشيء أو أحد من بعدها.

ولإيمان زهرة المطلق بحب والدتها لها، وقدرتها على الاختيار لم تتذمر من شيء أو تعترض، وعندما تزوجت، لم تعترض أيضًا على أي من قرارات زوجها، ولكنها لم تكن تحبه أو تكرهه ولا تعرف لماذا؟ كانت تشعر أن هناك حائلًا ما بينهما؛ رغم أنها لم تصرح بذلك يومًا.

كانت تقضي زهرة معظم وقتها بعد عودتها من عملها في حجرتها، فهي تأتي من العمل تتأكد من أن والدة زوجها تناولت أدويتها وطعامها، وتدخل حجرتها تُعِدُّ دروس اليوم التالي، ثم تراجع على حفظها من القرآن، وبعد ذلك تفتح اللاب الخاص بها تتصفح الأخبار، وتدخل على حسابها على مواقع التواصل الاجتماعي.

كانت تشعر بوحدتها تزداد يومًا بعد يوم، لم تكن تعرف السبب ولم تفكر أو تشغل نفسها يومًا بالبحث عن سبب ذلك.

كانت كثيرًا ما تقف أمام المرآة تنظر لوجهها وجسدها، وتتساءل أليست جميلة؟! أبها عيب ما يبعد عنها زوجها؟! ثم تضع مساحيق التجميل وتتأمل نفسها وتنتظر رجوع زوجها من الدروس حتى تيأس من رجوعه فتخلد للنوم.

لم تشعر يومًا وهي بين يديه أنها ارتوت منه وانتهت، ولكنها كانت تخجل أن تصرح بذلك له، كانت تشتاق لكلمة غزل تصف جمالها، تشتاق لنظرة حانية منه، ولكنها تخجل أن تعلن عن ذلك، تتمنى أن يحتضنها لتذوب فيه عشقًا، ولكن تخاف أن يسيء الظن بها.

كانت أحيانًا تسأل نفسها عن سبب انشغاله الدائم عنها، عن سبب عزوفه عنها وعن ممارسة الحب معها، أهو الملل؟ ولكن أي ملل وهي لم يمض على زواجها به أربعة أعوام؟! بعد زواجها بشهر واحد بدأ عادل مشوار البحث عن الدروس حتى يوفر لها الحياة الكريمة التي تليق بها، ولكن منذ أول يوم وهي تشعر أنه عندما أنهى رغبته أصبح شخصًا آخر، ولم تدرِ ما السبب، ولكنها خجلت من أن تحادثه.

لا تستطيع زهرة أن تنسى ذلك اليوم - منذ ما يقارب أربعة أشهر تقريبًا- الذي كانت تفتح فيه هاتف زوجها- على أنه هاتفها على سبيل الخطأ- ووجدت هذه الرسالة:

«عادل، حبيبي آسفة مش هينفع تيجي النهاردة أنا مشغولة جدًّا».

كانت هذه الرسالة من نمرة دون اسم، لم يكن لديها الجرأة الكافية لتسأله عن صاحبة الرسالة ولا عن معنى هذه الجملة، أكانت خائفة من الحقيقة؟ هي تعلم أنه لن يخونها، ولكن قد يتزوج عليها، ولكن جلَّ ما كان يشغلها هو: لماذا؟

ولكنها تعي أنها منذ أن رأت تلك الرسالة وهي أصبحت زهرةً أخرى غير التي تعرفها، كثر ذهابها للنادي، فأصبحت تذهب يوميًّا للنادي تجري حتى تنهك قواها، ثم تذهب للمنزل تقوم بطقوسها المعتادة، حتى إيقاظ زوجها ليتناول طعامه معها صباحًا ثم ينزل للعمل.

ودخلت على مواقع التواصل الاجتماعي حتى وجدت جروب «يوميات مغترب» ودخلت وكتبت منشورها.

وجدت العديد من المعاكسات على البريد الوارد، ولكن استوقفتها رسالة من ساقي الورد وردت على البريد الخاص بها:

"يا زهرة الياسمين، إن كان قد تزوج فهو لم يخن، وإن كان قد خان فخيانتك له انتقاص من قدركِ أنتِ وليس قدره، فكري يا بنيتي جيدًا، فأنتِ مَنْ سيقع عليه اللوم، وأنتِ مَنْ سيخسر في النهاية، ستخسرين نفسك، إن لم تقدري على التحمل فاطلبي منه الطلاق، وإلا فاصبري واحتملي".

كانت رسالته لها وميض ضوء، لقد أعطاها الحل، نعم ستطلب الطلاق منه، ولكن بعد أن تحمل منه ليكون لها طفل ترعاه، كم اشتاقت أن يكون لها طفل منذ أول يوم تزوجت فيه، كم اشتاقت لتسمع كلمة أمي من وليدها، ولكن عادل- بعد أول أسبوع في زواجهما- طلب منها أن تذهب إلى الطبيب لتؤجل الإنجاب فترةً من الزمن؛ كي يستعد كل منهما لقدوم طفل لحياتهما، لم تعترض ولم تتذمر بالرغم من شعورها أنه لا يحبها، وأنها يجب أن تنجب، فضَّلت أن تنصاع لرغبته دون جدال، رغم ألمها انصاعت، ولم تنجب طيلة سنوات زواجها الماضية، ولكن بعد أن عرف امرأة أخرى؛ رأت زهرة أن من حقها أن تنجب وليفعل ما يريد، ولكن سيكون لها ولدها.

وبالفعل حملت بعد مرور أقل من شهر على ذهابها للطبيب ليزيل وسيلة منع الحمل، ويعطيها بعض الأدوية التي تساعدها على سرعة الإنجاب، رفضت أن تخبر أي شخص بحملها؛ كي لا يعلم عادل بحملها ويجبرها على إجهاضه، ولكنها تعلم يقينًا أنها لم تكن لتطيعه هذه المرة، لقد جرحها عادل في كبريائها كأنثى وجرحها كزوجة، لقد اعتاد جرحها وهي اعتادت أن تتألم في صمت، اعتادت أن تعطي الحب والمودة وتتفانى في خدمة

الجميع، حتى لو لم يقدِّروا هم ذلك، هكذا علمتها والدتها، كونها أنثى يعني أن عليها أن تكون تابعًا ينصاع لرغبات مَنْ يتبعه، فهذا قدرها وإن لم ترضَ به.

لم يكن عطاؤها ضعفًا، بل كان ما علَّمها والدها إياه، لقد علَّمها أن العطاء هو ما يصنع الإنسان ويعينه على حياته، ولكنها لم تجد من يقدِّر هذا العطاء؛ بل قابله زوجها بالجحود، لقد جحدها حقها في الزواج والحب والأطفال ولم يقدِّر ما أعطته إياه.

استاءت زهرة من العطاء المفرط الذي بذلته لمن لم يستحقه، ولكن ماذا عساها أن تفعل ليشعر بها ويشعر بوجودها في حياته؟ لقد فكرت أن تطلب الطلاق منذ أول يوم علمت فيه بحملها، ولكن منعها ما وجدته من ردود أفعال على صفحتها على الفيسبوك.

لقد غيرت حالتها الاجتماعية في الحساب الآخر الذي أنشأته باسم زهرة الياسمين من متزوجة لمطلقة، وجدت بعده آلافًا من طلبات الصداقة والرسائل الخارجة، والكلمات التي جعلتها تتيقن أنها في مجتمع يتعامل مع الأنثى على أنها تسعى لتحصل على رجل، ولا يتعامل معها على أنها إنسان له مشاعر وأحاسيس.

كان ما وجدته على الفيسبوك كفيلًا بجعلها تتراجع عن

الطلاق، خاصةً عندما أضافت بعض أصدقائها في العمل دون أن يعرفوا أنها هي زهرة، كانت تتعامل معهم وتجلُّهم في المدرسة، ولكنهم أيضًا كانوا أول مَنْ خذلها بعد علمهم أنها سيدة مطلقة، لم يعلم أيٌّ منهم من هي حقيقةً، ولكنهم كانوا كغيرهم، مجرد مجموعة من المرضى النفسيين يبحثون عن فريسةٍ لاصطيادها، ولا يهم من هي، ولكن بعد أن صارحها عادل بزواجه وحمل زوجته لم تحتمل أن تكمل حياتها، لقد انسحبت في هدوء كما عاشت معه في هدوء.

كتبت له قبل نزولها من المنزل رسالة تخبره فيها أنها لن تعود له مرة أخرى، وطلبت منه أن يطلقها وألا يحاول أن يضايقها، أو أن يفرض وجوده في حياتها رغمًا عنها، لقد كرهت زهرة إرغامها على حياتها وعلى كل ما لا تحبه، كفاها إرغامًا لها واغتصابًا لحقوقها، لقد أتى الوقت الذي لا بد أن تعيش فيه لنفسها لتحب نفسها ولو قليلًا، لتعرف من هي، وتستكشف حياتها.

وضعت له الرسالة على الفراش كي يراها، ولكنها توقعت - كعادته- أنه لن يهتم بما يوجد على الفراش أو في الغرفة، فوضعت شريحة هاتفها القديمة؛ لكي تنتظر مكالمته فتطلب منه الطلاق وعدم البحث عنها وتنتهي الحياة بينهما، دون أن تخبره بحملها.

كانت زهرة في ذلك الوقت أيضًا تنتظر ردًّا من عمها عن قدومه إلى مصر، فعمها مسافر للعمل في الكويت منذ أن كانت في الخامسة من عمرها، لم تكن الاتصالات بينها وبينه تُجرَى باستمرار، ولم يكن قريبًا منها ومن والدتها، ولكن في هذا الوقت بالذات تحتاج زهرة لوجود عمها، لوجود سند لها يعينها على الأيام، لا تعرف زهرة ماذا سيكون رد فعله عندما يعلم بكتمانها خبر حملها عن زوجها وطلبها الطلاق، ولكنه أخبرها أنه سيأتي بعد ثلاثة أشهر، لتنتظرْ وليكن الله في عونها.

أثناء انتظار زهرة لمكالمة عادل لها، فتحت جهاز اللاب الخاص بها ودخلت على جروب «يوميات مغترب» لترى التفاعل مع ما كتبته.

إسلام: عزيزتي زهرة، مش عارف أقولك إيه، بس عمر الخيانة ما كانت حل، صدقيني هتكرهي نفسك لو عملتي كده، وافرضي كان متجوز يبقى مش خاين، لو مش قادرة تستحملي يبقى الطلاق أفضل ألف مرة.

مغترب ولكن: الخيانة بير ملوش نهاية، هتتعبي صدقيني وفي الآخر هتنتقمي من نفسك.

مغتربة: حاسة بيكِ يا زهرة الياسمين، عندي نفس ظروفك

بس قررت أسكت لغاية لمَّا أعرف هو متجوز فعلًا وألّا بيخوني وألَّا تهيؤات، مش عارفة أقول لك إيه غير ربنا يصبرك.

غريبة بلا وطن: بصراحة مش عارفة أقولكم إيه يا مغتربة ويا زهرة الياسمين، أنا زوجة تانية وزوجي مش معرَّف مراته إنه متجوز عليها، ربنا يصبركم.

ساقي الورد: أنصحكم بالصبر والتفكير، هل فعلًا هتقدروا تستحملوا الحال ده وألا لأ؟ لو لأ نصيحتي يبقى الطلاق أفضل.

تصفحت زهرة باقي الردود وكانت ما بين استخفاف بما تقوله أو عرض زنا وخيانة سهل للغاية، لم تتوقع زهرة أن يكون هناك أشخاص بهذا القدر من الحقارة لكي يعرضوا عروض زنا وخيانة صريحة لسيدة لا يعرفونها، وفي نفس الوقت كانت تقدِّر الردود المحترمة التي وجدتها والتي عززت قرارها بالطلاق.

في خضم ذلك رن جرس الهاتف ووجدت زهرة أن عادل هو من يتصل بها، كانت تشعر ببعض الآلام وكانت واضحةً على صوتها؛ حيث إنها لم تستطع أن تخفيها من شدتها، إلا أن عادل كعادته لم يلاحظ ذلك.

عادل: ألو... زهرة! ممكن أفهم إيه اللي بيحصل؟

زهرة: مفيش حاجة بتحصل، زي ما قريت في الرسالة اللي سيبتها أنا بطلب الطلاق وبس.

عادل: إنتِ فين طيب؟ عايز أقعد أتكلم معاكِ دلوقتي.

زهرة: مينفعش يا عادل خلاص أنا قررت.

عادل: مفيش حاجة اسمها مينفعش، إنتِ فين؟ إنتِ لسه مراتي، يعني من حقي أعرف إنتِ فين، فاهمة وألا لأ؟

زهرة والألم يعتصرها: حاضر، أنا في بيت ماما.

عادل: نص ساعة وأكون عندك، سلام.

لم يكن جديدًا على زهرة عدم شعور عادل بها، فهو لم يشعر بها مطلقًا، بل هو لم يلاحظ حتى أنها غيَّرت أسلوب ارتدائها لملابسها، وغيَّرت الألوان التي ترتديها، ولكن هذا هو عادل الذي عرفته منذ الخطوبة لا يشعر ولا يكترث بها.

محمد

عاد محمد عدنان من عيادته في تمام العاشرة مساءً -كما اعتاد-، لم يكن يحب أن يتأخر في عيادته، يبدأ العمل في العيادة من الساعة الرابعة عصرًا، ويظل هناك حتى التاسعة مساءً، ويعود في تمام العاشرة مساءً، يبلغ محمد من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، تخرج في كلية الطب وتخصص في الطب النفسي.

محمد أرمل، تزوج بعد تخرجه مباشرةً بزميلته في الكلية، بعد قصة حب طويلة دامت طيلة أعوام الدراسة، تزوجها وظلَّ الحب يجمعهما حتى توفيت زوجته بعد أول عام زواج وهي تلد أول طفل لهما، وتوفى الطفل هو الآخر بعد ولادته مباشرةً؛ كأنه لم يرد أن يعيش بلا أم، بعد وفاة زوجته لم يفكر محمد في الزواج مرة أخرى، ربما لأنه لم يجد مَنْ تنسيه أحزانه وآلامه على فقد حبيبة قلبه وولده.

اعتاد محمد منذ زواجه أن يذهب صباحًا هو وزوجته لتناول طعام الإفطار والغداء في النادي، ثم يذهب لعيادته الخاصة من الساعة الرابعة وحتى التاسعة، ثم يكون في منزله في تمام العاشرة. حتى بعد وفاة زوجته، لم يتخلَّ عن الروتين اليومي لحياته،

يتناول طعام الإفطار والغداء في النادي، ثم يذهب للعيادة ويعود في تمام العاشرة لمنزله.

منذ وفاة زوجته منذ ما يقرب من ثلاثة عشر عامًا وهو لم يغير حياته، عندما كان يذهب للنادي كان يحب أن يذهب للمكتبة؛ ليقرأ هناك أو يستعير بعض الكتب، وفي أحيان أخرى كان يجلس يراقب أعضاء النادي وتصرفاتهم، الروتين الوحيد الذي تغيَّر أنه أصبح يقضي يوم إجازته في النادي، ويجلس ليلًا على مواقع التواصل المختلفة؛ ليتابع المجموعات والمنتديات ويراقب تصرفات الأفراد على شبكات التواصل، وكيف تتغير عنها في الواقع.

وفي الآونة الأخيرة، انشغل كثيرًا بمتابعة المجموعات المختلفة على الفيسبوك والمشاكل التي تُنشَر عليها، كان يحب متابعة المشاكل والمشاركة في حلها دون أن يعرف أحد أنه طبيب نفسي؛ حتى يتقبل الجميع مشورته دون خجل، كان يشعر بالسعادة الغامرة في كل مرة كان يساعد أحدهم على تخطي مشاكله.

واختار اسم ساقي الورد ليكون اسمه على الفيسبوك، اشترك في العديد من المجموعات ومنها مجموعة «يوميات مغترب»، أعجبه الإسم كثيرًا وأثار فضوله أن يتعرف على أعضاء هذا الجروب ويتعرف على مشاكلهم علَّه يستطيع مساندتهم، خاصةً

أن الجروب خاص بالاغتراب بجميع أنواعه، وعندما تفاعل مع الأعضاء وجد أن معظم ما يمر به هؤلاء هو اغتراب نفسي واجتماعي أكثر منه اغتراب مكاني، واختار أن يشارك علمه ومعرفته في هذا الجروب دون أن يعرف أحد منهم أنه طبيب نفسي.

كم حاولت والدته -رحمها الله- إقناعه بالزواج من أخرى، ولكنها فشلت، وكان رد محمد عليها دائمًا أن زوجته لم تمت قط، وأنها تحيا في قلبه ولم تستطع أي أنثى- حتى الآن- أن تشغل مكانها.

كان وفيًّا حقًّا لزوجته، لم ينسَها يومًا، لا يفعل ذلك الكثير من الرجال؛ فبعد مضي الوقت يخبو الحب وتخبو الذكرى وتصير في طي النسيان، وسرعان ما يبحثون عن زوجة أخرى، أما محمد فلم يكن كذلك، ظل وفيًّا لزوجته وحبيبة قلبه.

عندما كان يذهب محمد للنادي، لاحظ أن هناك سيدة تجلس دائمًا وحيدةً شاردةً، تحتسي القهوة ثم تذهب للجري. كان يراقبها دون أن تعرف ذلك، سأل عنها وعلِّم أن اسمها زهرة، وأنها متزوجة ولكنها نادرًا ما تأتي مع زوجها؛ نظرًا لانشغاله الدائم، كان يرى في تصرفاتها الحزن والاكتئاب، كان يشعر أنها تعاني من أزمة ما ولكنه لم يعرف تلك الأزمة.

حاول أن يتتبع أيًّا من معارفها حتى وجد بعض الفتيات من

طالباتها، كن مشتركات في نفس النادي، عرف منهن البريد الإلكتروني الخاص بها، واسمها على شبكات التواصل الاجتماعي.

تتبع محمد هذه السيدة في النادي وبحث عنها على شبكات التواصل الاجتماعي حتى عرف اسمها على الفيسبوك وكان زهرة عبد الخالق، أرسل لها طلب إضافة ولكنها رفضته، فاكتفى بأن يراقبها من بعيد حتى تأتيه فرصة ليتعرف عليها، كان محمد يشعر بتمرد الأنثى داخل زهرة، حتى قبل أن تشعر هي بذلك التمرد.

لم يحاول محمد مطلقًا التقرب من زهرة في النادي، أو حتى الحديث معها، كان يحب أن يراقبها من بعيد ويعرف حالتها، وكان ذلك يشعره بالسعادة الغامرة، في البداية.. كان يتعامل مع زهرة أنها مريضة تحتاج لعلاج، ولكن بعد ذلك أصبحت حبيبة، بدأ حب زهرة يتسلل لقلبه رويدًا رويدًا حتى أصبح يملأ عليه حياته، ولكنه كان يشعر أن هذا الحب خيانة لحبيبة أخرى توفيت وهي تلد له ولده.

ثم وجد محمد اسم زهرة الياسمين في أكثر من مجموعة من المجموعات المشترك بها، ووجدها في مجموعة يوميات مغترب، لم يعرف محمد لماذا شعر أن زهرة الياسمين هي نفسها زهرة التي كان يراقبها في النادي من بعيد، ولكن ظهورها في مجموعات عدة ساعده على بدء الحديث معها وإرسال طلب صداقة لها.

يحيى

عاد يحيى من عمله إلى منزله، وكعادته لم يكن هناك جديد، دخل إلى المطبخ ليُعِدَّ ما يقتات به، لم يكن يهتم بما سيأكل، كان ما يهمه أن يسكت هذه المعدة التي تئن من شدة الجوع، فيحيى تعوَّد ألا يأكل ليومين وثلاثة أيام، لا يأكل إلا عندما يشتد جوعه.

يحيى شاب في منتصف العشرينات، أسمر البشرة، شديد سواد العينين، متوسط الطول، تعرف من ملامحه أنه من صعيد مصر، تخرج منذ عدة أعوام في كلية التجارة، هو من أسرة متوسطة تعيش في صعيد مصر، لا تمتلك أراضي زراعية ولكنها تعتمد في كسب قوت يومها على العمل الحكومي؛ حيث يعمل الأب مدرسًا في مدرسة حكومية ويعطي الدروس الخصوصية لأبناء القرية التي يعيشون بها مقابل أجر زهيد، والأم لا تعمل. يحيى هو الأكبر في ترتيبه بين إخوته، يصغره "عليّ" بثلاث سنوات، وتصغره "عائشة" بخمس سنوات.

تلقى يحيى تعليمه في المدارس الحكومية، ثم أكمل دراسته الجامعية، لم يجد عملًا في القرية والمحافظة بكاملها، فاضطر للنزوح للقاهرة علَّه يجد عملًا، هو يعلم في قرارة نفسه أنه لم

يجتهد في بحثه عن عمل في قريته أو حتى محافظته، ولكنه اجتهد حتى يجد عملًا أبعد ما يكون عن الصعيد بأسره، وبالفعل وجد عملًا كمحاسب في إحدى الشركات الكبرى بالقاهرة، مقابل راتب شهري جيد.

كان قرار انتقاله للقاهرة من أيسر القرارات التي اتخذها في حياته، لم يشعر يومًا أنه ينتمي لهذه الأسرة، كانت وحدته هي أنيسه وجليسه، لم يكوِّن صداقات، كلها معارف عابرة، حتى عندما جاء للقاهرة لم يختلف حاله عما سبق، لم يكوِّن صداقات، اكتفى بالعلاقات العابرة في العمل ومع الجيران، لم يكن شخصًا اجتماعيًّا، يراوده شعور دائم بأنه لا ينتمي لهذا المكان ولا لهذا الزمان، يشعر دائمًا أنه ينتمي لمكان وزمان لا يعلمهما، ولكنهما ليسا الزمان والمكان الحاليين.

لم يفكر يومًا بالارتباط، كيف يفكر بالارتباط وهو نفسه لا يشعر بالارتباط بأي شيء، لا ينتمي لأي شيء، إحساسٌ مرير ألا تكون منتميًا لأي شيء ولا حتى لنفسك، تتمرد عليها ولا تلبي لها كل ما تحتاج إليه، منذ نزح للقاهرة اعتاد ألا يأكل بالأيام، يكفيه ما يشربه من شاي وقهوة ومشتقاتهما، وحبيبته السجائر التي لا تفارق يده.

أحيانًا يشعر بالرغبة في الانتحار، لا يجد أي سبب مقنع للاستمرار في ذلك المسلسل البغيض، حاول مرارًا أن ينتحر، أحيانًا يتراجع في اللحظات الأخيرة وأحيانًا أخرى لا يُكتَب له النجاح في الموت، ولكنه اكتسب خبرته في الانتحار، إذا أردت أن تموت حقًّا فخذ القرار ولا تتراجع.

كان قراره بالانتحار البطيء، السجائر والشاي والقهوة، عدم الأكل لفترات طويلة، كانت السجائر هي رفيقُه وخليلُه الذي لا يستغنى عنه، وكانت مواقع التواصل الاجتماعي فرصته للتعبير عما يريد أن يقول دون أن يعرفه أحد.

اختار اسمه "مغترب ولكن"، وجد أن هذا الإسم هو خير معبِّر عما يشعر به، فهو مغترب بالفعل، مغترب عن كل شيء وعن كل الناس، لا يشعر بالارتباط بأحد، وجد مجموعة باسم «يوميات مغترب»، قرر الانضمام لها، لن يخسر شيئًا، سيكون مغتربًا وسط الآلاف من المغتربين.

يبدأ يوم يحيى مع أذان الفجر، يستيقظ في موعد الأذان، يصلي الفريضة، ثم يقرأ ما تيسَّر له من القرآن الكريم حتى شروق الشمس، يصلي ركعتين بعد الشروق ثم يذهب ليعد قهوته ويتناولها مع لفافة التبغ، وبعد أن ينتهي من ذلك يرتدي ملابسه

ويـذهب لعملـه، يكـون أول الحاضـرين دائمًـا، يـدخل لمكتبـه، ويفـتح جهـاز الحاسـب ليراجـع الملفـات الخاصـة بالعمـل قبـل تسليمها لرئيسه بالعمـل ليتأكـد مـن خلوهـا مـن الأخطـاء، فهـو لا يحب أن يخطئ، وإذا أخطأ تكون مشكلة بينه وبين نفسه يعاقبها عليها، عندما ينتهي من المراجعة، يطلب من عامل البوفيه أن يعد له قدحًا من النسكافيه يتناوله مع اللفافة العاشرة من التبغ منذ وصوله وحتى مضي ساعة ونصف من العمل.

لا يعرف يحيى إن كان بالفعل يحب عمله أم لا، ولكنه العمل الذي يناسب مؤهله الدراسي، الكلية التي اختارها مكتب التنسيق له بناءً على مجموع درجاته في الثانوية العامة وليس بناءً على رغبته، يأتي للعمل وينهيه، نادر الكلام، ولكنه يستمتع بالاستماع لأحاديث زملائه معه، ولكن ما يقلقه سمية تلك الشابة الجميلة التي التحقت بالعمل معه منذ ستة أشهر، إنها تتعمد أن تختلق حديثًا معه يوميًّا، يعرف هو أن ذلك مقدمة لشيء لا يحبه ولا ينوي القيام به، إنه مقدمة للحب والارتباط، يتعلل بالهروب منها بموعد الصلاة، أو إنهاء ما يريده المدير من أعمال.

أعطاها يحيى رقم هاتفه المحمول عندما طلبته منه، لم يكن يريد ذلك ولكنه لم يرد إحراجها بالرفض، رغم أنه يحب الوحدة

إلا أنه لا يحب أن يكون فظًّا مع أحد، يستمتع بشعور أن يحبه أحد، ولكنه غير مؤهل للحب، غير مؤهل للارتباط، يعرف يقينًا أن الحب والزواج هما قدَر، ولكنه يحاول أن يعرقل هذا القدَر قدْر الإمكان.

يعود يحيى من عمله الساعة الخامسة عصرًا، يذهب لشقته؛ فهو لا يحب إلا أن يكون وحيدًا، وذلك لا يتسنى له إلا في المنزل، يُعِدُّ ما يجده في الثلاجة دون اكتراث بماهيته، عندما ينتهي من الطعام ينظف المنزل ويغسل الآنية ثم يذهب لجهاز الكمبيوتر ويفتح الفيسبوك والمواقع الأخرى، قليل المشاركة في أي نشاط، يكتفي دائمًا بالمتابعة.

أثناء انشغاله ذات مرة بمتابعة الفيسبوك وجد اتصالًا من سمية...

سمية: إزيك يا يحيى؟ عامل إيه؟

يحيى: تمام الحمد لله، خير! في حاجة؟

سمية: محتاجة أشوفك ضروري دلوقتي.

يحيى: خير يا سمية! دي أول مرة تطلبي نتقابل.

سمية: لما أقابلك هتعرف.

يحيى: حاضر، تحبى فين؟

سمية: عارف الكافيه اللي في وسط البلد اللي عند الشغل؟

يحيى: أيوه عارفُه.

سمية: قابلني هناك.

يحيى: تمام، مسافة السكة.

أغلق يحيى الهاتف ولا يدري لماذا وافق على مقابلتها، لأول مرة في حياته يذهب لمقابلة فتاة، حتى أثناء الجامعة لم يكن يتحدث مع الفتيات إلا في حدود الدراسة وكفى، يعلم مقدَّمًا ما ستقوله سمية، ستقول له إن هناك عريسًا تقدم لخطبتها لترى رد فعله، وهو لن يفعل شيئًا، كل ما سيقوله مبارك عليك هذه الزيجة إذا كان المتقدم مناسبًا.

لم تكن سمية حتى فتاة أحلامه، فهي فتاة عادية، لا ترتدي الحجاب، ملابسها تفضح أكثر مما تغطي، وهو يشمئز من هذه المناظر، ولا يدري حقًّا لماذا يتركها أهلها هكذا، أليس لها أهل يقوِّمونها على الصراط المستقيم، وها هي الآن تطلب مقابلته.

ارتدى ملابسه ونزل لمقابلتها وهو يتخيل ملامحها بعد أن يبارك لها على عريس المستقبل، وهي تكاد تميَّز من الغيظ، ولكنه سيشعر بالسعادة وهي في تلك الحالة.

الكافيه

سمية: كنت فاكرة إنك مش جاي.

يحيى: أنا قلت لك جاي يبقى هاجي، أنا كلمتي واحدة، خير يا ستي في إيه؟

سمية: بص يا يحيى، أنا عارفة كلكم في الشغل بتشوفوني إزاي، اللي فاكرني سهلة واللي فاكرني مليش أهل وإني مش متربية، لكن مش فارقة معايا الأحكام دي كلها، أنا طلبت أقابلك النهاردة؛ لإن إنت الوحيد اللي بتسمعني وعمرك ما بصيتلي نظرة وحشة، يحيى أنا عايزة اتحجب والتزم ومش عارفة إزاي.

يحيى متفاجئًا مما قالته سمية: مش فاهم، إزاي يعني؟

سمية: عايزة أكون ملتزمة ومتدينة ومش عارفة أعمل إيه، وإنت الوحيد اللي قدامي اللي فعلًا ملتزم.

يحيى: شكرًا يا ستي إنك شايفاني كده، بس لا مؤاخذة يعني اشمعنى أنا، ما تسألي والدتك وألا أي حد من اخواتك.

سمية: بص يا يحيى، احنا بنتكلم كتير في الشغل بس أنا عمري ما جبت سيرة أهلي، أولًا كده أنا أهلي كلهم مسافرين بره مصر وعايشين في الكويت، وأنا بس اللي قررت أعيش هنا، كده

كده احنا كل واحد عايش في دنيته، وده مش موضوعنا، ثانيًا أنا مليش أصحاب ولا ليا حد أسأله عشان كده كلمتك إنت.

يحيى: بما إنك كلمتيني أنا، ممكن أعرف إنتِ ليه قررتي فجأة كده إنك تلتزمي؟

سمية: زهقت من نفسي ومن حياتي، عايزة أرجع لربنا يمكن ألاقي اللي ناقصني، أنا بتلكك عشان أتكلم في أي موضوع في الشغل؛ لأني برجع البيت بَفْضَل بين أربع حيطان بكلم نفسي، ساعات بَخْرج بس برضه ببقى لوحدي، قعدت مع نفسي وقررت أتغير بس مش عارفة أعمل إيه.

يحيى: طيب مبدئيًّا كده لبسك ده لازم يتغير، يعني تتحجبي، بس لا مؤاخذة حجاب بجد مش حجاب اليومين دول.

سمية: مش فاهمة!!

يحيى: يعني لبس واسع ومحتشم ومش شفاف ولا ضيق، يعني مش بَدِي واستريتش وتقولي أصلي اتحجبت، الحجاب مش حتة القماشة اللي على راسك دي.

سمية: تمام مفيش مشكلة، إيه تاني؟

يحيى: تشوفي مسجد قريب منك يكون موثوق فيه وفيه

دروس علم، وأنا هحاول أشوفلك شرايط كويسة عن الحجاب والالتزام.

سمية: بس كده؟!

يحيى: لأ، كمان مفيش ضحك بصوت عالي، ولا كلام على الفاضية والمليانة مع رجالة.

سمية: يعني إيه؟

يحيى: يعني -حضرتك- الكلام يكون في حدود الشغل، عايزة ترغي عندك بنات كتير في الشغل إرغي معاهم، إنتِ متعرفيش اللي بيتكلم معاكِ نيته إيه، وبعدين ده اللي أمرنا بيه الدين.

سمية: يعني إنت كده مش محبِّكها قوي؟

يحيى: من أولها هنفاصل؟

سمية: لا مش فصال، بس عايزة أفهم.

يحيى: بصي يا ستي.. مينفعش راجل وست يتكلموا من غير لازمة، ليه بقى؟ عشان- حضرتك- لما بنتكلم كل يوم في أي حاجة أصبح الكلام عادة وارتبطنا إننا لازم نتكلم كل يوم، هتلاقي مشاعر أيًّا كانت بقى، حب أو رغبة مش مهم، المهم إن

فيه مشاعر، خصوصًا لو فيه مشاكل وبنتكلم فيها وبنحلها، لكن كل ده بيعدي عادي لو كلامك مع بنت زيك.

سمية: طيب، ممكن أطلب منك طلب؟

يحيى: اتفضلي.

سمية: ممكن تيجي معايا وأنا بشتري اللبس بتاع الحجاب؟

يحيى: مينفعش يا سمية.

سمية: ليه؟

يحيى: عشان أنا راجل وحضرتك ست، ومفيش جواز بيننا عشان أشوفك وإنتِ بتغيري، وحاجة تبقى ضيقة وألا شفافة، اعتمدي على نفسك، إنتِ متعرفيش الناس جواها إيه، وعلى فكرة أنا آسف.

سمية: على إيه؟

يحيى: مش مشكلة تعرفي على إيه، المهم إني عايز أعتذرلك وبس، سلام.

عندما ترك يحيى سمية شعر بالخزي من نفسه، لقد حدَّث نفسه عليها واتهمها دون أن يدري عنها شيئًا، كان ما سمعه توًّا يخبره أنها مثله، وربما حاولت الانتحار كما فعل ولكنها فشلت،

واختارت أن تكون في معية الله كما فعل هو، يشعر الآن أنه أفضل حالًا، لقد كان يغض البصر كلما رآها قدر ما يستطيع، لقد كانت ملابسها فاضحةً حقًّا، وكان يرى نظرة الاشتهاء لها على وجوه زملائه في العمل، أما الآن فهو يتوق شوقًا لأن يرى نظرة البله على وجوههم عندما تأتي سمية بالحجاب للعمل، يعرف أنها ربما تؤجل القرار لأيام، ولكن كانت تحدثه نفسه أنها ستأتي العمل في الغد بالحجاب، ثم عاد يحيى لمملكته مرة أخرى.

استغرب يحيى من كلام زهرة الياسمين بخصوص الخيانة، ولكنه يعلم أن المرأة كائن هش وضعيف؛ لذا اختار أن يرد عليها حتى تأخذ قرارًا يبعدها عن هذا الطريق الصعب، أما مغتربة فهو يشعر بالفعل بالتعاطف معها، يعلم ماهية شعور الاغتراب، أن تكون غريبًا وسط أهلك ووسط عائلتك، لقد عاش هذا الشعور سلفًا؛ لذا فهو يعرف ماهيته وما تعانيه مغتربة، فكر كثيرًا أن يرسل لها في الرسائل الخاصة ولكنه يخاف أن يتعلق كلٌّ منهما بالآخر، إلا أنه يعرف أنها تشعر بالظمأ للحب، وأنها تشعر بالظمأ للاهتمام؛ لذا فقد اتخذ قراره بتعويض مغتربة عما تمر به من اغتراب ونقص في مشاعر الحب والاهتمام ليعين كل منهما الآخر على اغترابه، وطمأن نفسه أنه لا يعرفها وهي لا تعرفه؛ لذا من

الصعب أن تتولد لديها مشاعر تجاهه، وهو يعرف نفسه لا يرغب في الحب ولا في الحياة ذاتها.

أعاد يحيى النظر على ما كتبته مغتربة وما كتبته زهرة الياسمين ومغتربة بلا وطن، يشعر أن جميعهن مررن بمحنٍ قاسية لا يتحملها بشر ولكن شعر بالأسى أكثر تجاه مغتربة، وأرسل لها على البريد الخاص:

"السلام عليكم، أنا مغترب بصراحة اترددت كتير قبل ما أبعتلك، بس أنا فعلًا بمرّ بنفس حالة الاغتراب اللي إنتِ بتمري بيها، عشان كده بعتّلك على الخاص وبقول لك: لو محتاجة تتكلمي في أي حاجة أنا موجود، على فكرة دي أول مرة أكلم فيها حد على الخاص".

ضغط يحيى زر الإرسال، وأُرسِلت الرسالة بالفعل لبريد سميحة ولكنه حتى الآن لا يدري اسمها الحقيقي، حتى أنه لم يقل لها اسمه الحقيقي، بعد أن أرسل لها الرسالة ظلَّ يتحدث مع نفسه، لماذا لم أقل لها اسمي؟ ولماذا أرسلت لها؟ هل ستتقبل ذلك مني؟ هل ستعنِّفني؟ هل ستتجاهل الرسالة؟ لم يصل إلى إجابة؛ لذا قرر ترك الأمر للظروف، وخلد إلى النوم ليستطيع الاستيقاظ وقت الفجر.

وجدت سميحة إشعارًا بوجود رسالة خاصة على حساب الفيسبوك الخاص بمغتربة، كانت تشعر بالوحدة الشديدة فغريب سافر منذ أيام ولن يعود قبل شهر على الأقل حتى ينهي إحدى صفقات العمل الذي لا ينتهي، أرادت أن تتجاهل الرسالة ولكنها بالفعل تشعر أنها تحتاج للحديث مع أي أحد، لقد سئمت هذه الوحدة، هي تعرف أن "مغترب ولكن" قليل النشر والتعليقات على الجروب، ولكنها وجدت مع الرسالة طلب صداقة، دخلت على صفحته الشخصية، فلم تجد غير بعض الأدعية والآيات القرآنية مع بعض الخواطر التي تشبه ما ينشره على الجروب.

قررت سميحة أن ترد على رسالته: "مغترب ولكن، دي أول مرة حضرتك تكلمني، متشكرة على سؤالك، ويا ريت أعرف اشمعنى أنا اللي قررت أكون أول حد تكلمه على الخاص".

وضغطت زر إرسال، وقبل أن ينام يحيى وجد إشعارًا بوجود رسالة على البريد الخاص ففتحها فوجدها رسالة من سميحة، لم يفهم جيدًا من الرسالة هل هي دعوة لحثه على الكلام أم أنها دعوة للصمت، فسَّرها على أنها دعوة للكلام عندما قبلت دعوته للصداقة، فسارع بإرسال رسالة أخرى لها:

"متشكر جدًّا على قبولك دعوة الصداقة والرد على الرسالة،

مبدئيًّا أنا يحيى، أنا حسيت من مشاركاتك إنك محتاجة تتكلمي مع حد، وبصراحة خفت عليكِ لَتتكلمي مع أي حد يسيء فهم كلامك أو يعمل لك مشاكل، فقررت أكون أخوكِ اللي تقدري تتكلمي معاه وكأنك بتكلمي نفسك، يمكن نقدر نوصل لحل".

كانت رسالة يحيى الأخيرة هي ما أتى على مقاومة سميحة، لقد وصلتها العديد من الرسائل التي طلبتها في الحرام؛ لتعويضها عن إهمال زوجها؛ لإشباع رغبتها دون أن يدري أحد، رسالة يحيى هي الوحيدة التي وصلتها كي تساعدها على الكلام، تشعر أنها بحاجة للكلام، للصراخ، تحتاج أن يسمع الكون كله صرخاتها، بعد أن فشلت في الحوار مع زوجها أو حتى محاولة حث والدها أو والدتها على حل مشاكلها مع زوجها.

مغتربة: "أستاذ يحيى، تقدر تناديني مغتربة، رسالتك جت في وقت أنا فعلًا محتاجة أتكلم فيه، أنا تعبت من إهمال زوجي وتعبت أكتر من الرسايل اللي جت عشان تغريني لعلاقات، أنا مش وحشة، ومش خاينة، مش عشانه هو، عشان نفسي، أنا بحترم نفسي ومعنديش أي استعداد إني أخسرها عشان أي حد".

يحيى: "مغتربة، أنا مقدَّر حالتك وصراحتك، عشان كده كنت صريح معاكِ، أنا فعلًا عايزك تتكلمي، تفضفضي، خرَّجي

الألم اللي إنتِ حاسة بيه، يمكن نقدر نحل مشكلتك بسهولة".

مغتربة: "مشكلتي ملهاش حل، زوجي زهدني خلاص، حاسة إن عندي ١٠٠ سنة مش لسه في التلاتينات، تعبانة، زاد تعبي الكلام اللي بسمعه، كلام حب ورغبة فيا من غير ما حد فيهم يشوفني، كان نفسي أسمع الكلام ده من زوجي، أحس برغبته فيا".

يحيى: "إنتِ عارفة طبعًا هدف الناس من الكلام ده إيه، إنتِ بالنسبة لهم مجرد فريسة يطفُّوا بيها شهوة مش أكتر، اعذريني على صراحتي".

مغتربة: "عارفة وفاهمة ده، بس أنا تعبانة فعلًا يا يحيى، ومش عارفة أعمل إيه، نفسي أسمع منه كلمة حب، نفسي أحس إني فارقة في حياته، مش عارفة أعمل إيه؟".

يحيى: "بقاله أد إيه بعيد عنك ومفيش أي علاقة؟".

مغتربة: "نعم؟".

يحيى: "أنا آسف، بس كلنا في المجموعة فهمنا إنه بعيد عنك ومفيش أي علاقة من فترة، إيه اللي هيفرق لو عرفنا الفترة دي أد إيه؟".

مغتربة: "أنا آسفة إني اتكلمت معاك".

يحيى: "مغتربة، أنا آسف، أنا مش قصدي حاجة وحشة، أنا فعلًا عايز أساعدك، بس عشان أقدر أساعدك محتاج أعرف تفاصيل أكتر، لو ده هيضايقك أنا آسف".

مغتربة: "الكلام في الموضوع ده بيضايقني، وبيخنقني".

يحيى: "تحبي نتكلم في إيه؟".

مغتربة: "أي حاجة، أنا محتاجة أتكلم في أي حاجة، أنا فعلًا مخنوقة".

يحيى: "طيب إيه رأيك نرغي في حاجات عامة وهبلة؟".

مغتربة: "زي ايه؟".

يحيى: "إنتي بتحبي تقري؟".

مغتربة: "جدًّا".

يحيى: "إيه آخر حاجة قريتيها؟ وبتفضَّلي إيه كتب وألا روايات؟".

ظل كل من يحيى وسميحة في الحوار حتى سمعا آذان الفجر، فاستأذن يحيى أن يترك سميحة؛ لكي يؤدي الفريضة ويذهب لعمله، على وعد باستكمال الحديث بعد صلاة العشاء.

ظل الحوار بين يحيى وسميحة يوميًّا وكان يستمر لساعاتٍ حتى يكتشف كلاهما أن الفجر أذّن، ويكتشف يحيى أنه لم ينم منذ ثلاثة أيام وهو مستمتع بذلك، استمتع يحيى بشعوره أنه يساعد مغتربة، ويستمع إليها ويحاول مساعدتها، لقد باحت له بعد أول أسبوع من الحوار بهجر زوجها لها لأربعة أعوام، تأكَّد ليحيى أن زوج مغتربة لا بد أنه على علاقة بأخرى، لا يدري إن كانت زواجًا أم خيانة، ولكنها علاقة جعلته يزهد زوجته وأم أولاده.

بدأ يحيى في إسداء النصح لمغتربة، كيف تتكلم وكيف تتعامل، بل وحتى كيف تغيِّر من مظهرها ومشاعرها تجاه زوجها، وطوال تلك الفترة لم يسألها عن اسمها الحقيقي أو أي شيء يتصل بعالمها الواقعي، خاف أن يخسرها إن سألها، لقد فهم أنها تتحدث بحريتها وتحكي مشاكلها وهمَّها؛ لأنها في عالم افتراضي لا يعلم فيه أحد عنها شيئًا، احترم هو ذلك وساعدها بكل ما أوتي من قوة وحكمة، حتى اختفت سميحة بعد شهر دائم من الحديث اليومي.

إسلام

الأم: يعني من كل البنات اللي شفتهم في أجازتك، مفيش غير دي اللي قلت عليها، ما أنت شفت بنات كتير، إشمعنى دي؟

إسلام: يا أمي عشان إنتِ كمان عجبتك، ومدحتي في أخلاقها وسيرتها، هو أنا عرفتها منين؟ ما أنتِ اللي بعتّيلي صورتها وقلتي: البنت زي الفل وتمام ولمَّا تنزل أجازة تيجي تشوفها، ونزلت وشفتها مع غيرها وإنتِ وأختي اللي قلتوا إنها أحسنهم، إيه اللي جرى بقى؟

الأم: اللي جرى إني عرفت إنهم عيلة مش ولا بد، وأخوها اتجوز واحدة من غير رضا أهلها.

إسلام: أخوها واتجوز، هي مالها؟

الأم: يعني إيه هي مالها؟ مش أخوها؟ أنا قلت خلاص الخطوبة دي تتفركش وناخد شبكتنا وخلاص يا إسلام، انتهينا.

إسلام: وأنا قلت لأ يعني لأ، مش هفركش الخطوبة وهتجوزها، أنا مش واحدة تتحكموا فيها وتقولوا إيه اللي يتعمل وإيه اللي لأ، مع السلامة عشان وقت الراحة خلص ولازم أرجع الشغل.

أغلق إسلام الهاتف مع والدته، وهو يلعن هذه الأفكار التي تحكم على فتاة بعدم الزواج، بسبب زواج أخيها من أخرى دون رضا أهلها، ما ذنب خطيبته فيما فعله أخوها؟ هو من تزوج وليس هي، لمَ الإصرار إذًا على عقابها هي؟ لماذا لم يُعاقَب أخوها إن كان مذنبًا؟ دارت العديد من التساؤلات في رأسه وهو في طريقه للعودة للعمل، وظل يحدِّث نفسه وهو في الطريق ويلعن هذه الأفكار وهذه البلد التي تعاقب الطرف الأضعف وليس الطرف المخطئ، حتى قابل عزب زميله في العمل..

عزب: مالك يا إسلام في إيه؟ ماشي تكلم نفسك؟

إسلام: مفيش يا سيدي، أمي كلمتني بتقولي هتفسخ الخطوبة.

عزب: إنت يا ابني لحقت تخطب؟ ده أنت لسه راجع من أجازتك مفيش أسبوع.

إسلام: مفيش يا عم عزب، اكتشفوا فجأة إن أخو خطيبتي اتجوز واحدة من غير رضا أهلها.

عزب: طب خطيبتك مالها؟ أخوها هو اللي اتجوز مش هي.

إسلام: أبدًا يا سيدي، الست الوالدة شايفة إنها كده دون المستوى ومينفعش تناسبنا عشان هما كده مش ولا بد.

عزب: وإنت ناوي على إيه؟

إسلام: مش عارف والله يا عم عزب.

عزب: أنا قلت إنك هترفض فسخ الخطوبة.

إسلام: أمي حلفت لو كملت الجوازة مفيش مكان لخطيبتي في بيتنا.

عزب: طب ما تجيبها هنا يا ابني معاك.

إسلام: مينفعش، اللي متغرب عشان أحوِّشه هصرفه على العيشة هنا وأرجع زي ما جيت.

عزب: خلاص تعيش مع أهلها.

إسلام: خايف من المشاكل، رغم إني قلت لأمي: إني مكمل ومش هفسخ الخطوبة، بس ده كان عِند فيهم عشان هما اللي اختاروا، وأنا سيبتهم يختاروا عشان لما تعيش معاهم أهرب من المشاكل.

عزب: إنت عيل يا إسلام، والبت دي خسارة فيك.

إسلام: ليه بس كده يا عم عزب؟ أنا عملت إيه؟

عزب: دي مش تصرفات رجالة.

وأثناء حوار إسلام مع عزب زميله في العمل رنَّ جرس هاتفه المحمول ووجد اسم علياء خطيبته..

علياء وهي تبكي: ليه كده يا إسلام؟ أنا عملتلك إيه عشان كل ده؟

إسلام وهو غير مدرك لما يحدث: ليه كده إيه يا علياء، هو إيه اللي حصل؟

علياء: يعني مش عارف؟

إسلام: والله ما عارف حاجة، فهميني إيه اللي حصل.

علياء: والدتك لسه ماشية من عندنا، وقالت إنك فسخت الخطوبة، وإننا مش أد المقام وإننا منشرفش العيلة الكريمة، احنا عملنا إيه، معنديش مشكلة إن مفيش نصيب، بس ليه الإهانة؟ وليه كنت خطبتني من الأول؟

إسلام: أبدًا والله يا علياء، أنا قلت لأمي: إني مكمل الخطوبة ومش هفسخ، لما قالت لي: إن المشكلة في جوازة أخوكِ.

علياء: وأنا مالي ومال أخويا؟ وبعدين أخويا اتجوز معملش حاجة حرام، أخو العروسة كان عايز يجوِّزها لصاحبه، وعمها وافق على أخويا وشاف إنه مناسب وهو اللي جوِّزهم لبعض، إيه دخلي أنا في الموضوع؟

إسلام: متقلقيش يا علياء، أنا هكلم أمي وأفهم هي عملت كده ليه.

علياء: تكلم أمك تفهم هي عملت كده ليه؟! لأ فعلًا هتتعب.

إسلام بعصبية: يعني أنا المفروض أهبب إيه يعني؟ أنا متنيل مطحون هنا في الشغل والقرف والغربة وإنتم بتتدلعوا عندكم؟ ملعون أبو الجواز على اللي عايز يتجوز.

أغلقت علياء الهاتف وهي تبكي، ولم يدرِ إسلام هل كانت عصبيته على علياء؛ لأنها لامته، أم على تصرف والدته الذي قامت به رغم رفضه له، لم يدرِ حقًّا ماذا يفعل؟ لقد اختارها بعد اختيار والدته لها، أراد أن يتزوج حتى تهدأ والدته، وينتهي إلحاحها عليه بالزواج كلما هاتفته أو كلما سافر في إجازة من العمل، الآن وبعد أن اختارتها له، ذهبت رغم رفضه لفسخ الخطوبة، ولأنه لم يقدر على والدته انطلقت عصبيته تجاه علياء الطرف الأضعف في المعادلة.

رغم قصر الفترة التي عرف فيها علياء وخطبها، إلا أنه يشعر بالحب تجاهها، دموعها قطَّعت نياط قلبه وهي تكلمه لتسأله عن سبب فسخه الخطبة مع إهانة أهلها، لم يرَ وجهها سوى مرة واحدة أثناء الرؤية الشرعية، غير ذلك كانت بنقابها، استغرب كيف لمنتقبة أن تكون بهذه الرقة، أن تتعلق بخطيب لها سيكون

زوجها خلال أيام قليلة، لقد قام بتوكيل أخيه الصغير للعقد على خطيبته بعد مضي شهر على الخطوبة، فالعروس كانت تستعد للزواج، وإذ بخنجر ينغرس في قلبها، لا زواج وإهانة على ذنب لا ناقة لها فيه ولا جمل.

لم يعرف إسلام كيف يتصرف فتوجَّه على الفيس بوك ليحدِّث أقرب أصدقائه، تفهمه دون أن يقول الكثير من الكلمات، تقول له الحقيقة أيًّا كانت، سواء أكان مخطئًا أم لا، دخل على الماسنجر وتحدث مع ولاء، ولاء امرأةٌ متزوجة في نهاية العقد الثالث من عمرها، صريحةٌ إلى أقصى درجة، ورغم ذلك يمكنها أن تخفف آلام المكلومين في ثوانٍ معدودة، تراه ابنًا لها رغم أنه يصغرها فقط بما يقارب عشر سنوات، تشعر بألمه من أهله، كلما حدثت مشكلة معهم هرع إليها ليخبرها بما حدث.

أما إسلام فهو شاب في أواخر العشرينات من عمره، حاصل على بكالوريوس التجارة من جامعة الزقازيق؛ حيث كان يقيم قبل سفره للعمل محاسبًا في السعودية، ممتلئ القوام، له كرش في بداياته ينم عن شهيةٍ للأكل، أصلع الشعر، والشعر المتبقي على جانبَيْ رأسه لونه أسود، متوسط الطول، هو الأخ الأكبر لولد يُدعى خالد وبنت تُدعى هبة، تُوفِّي والده وهو في المرحلة الثانوية

فقرر العمل بجانب الدارسة؛ ليساعد والدته على الإنفاق على إخوته، عمل قهوجيًّا، وفي محلات البقالة، كما عمل في تحميل المركبات الكبيرة "اللوري"، لم يخشَ ما يقوله الناس، كان جلُّ ما يجول بخاطره هو إخوته ووالدته.

لقد تعلَّم إسلام من والده حب البيت والأهل، كان يصل رحمه ويزور أقاربه رغم رفض الأم لذلك، ولكنه لم يستمع لها، وهي انصاعت؛ لأنه رجلها الآن، فهو مَنْ يُنفق على المنزل والأسرة وهو أكبر أبنائها، أصرَّ إسلام على تفرُّغ أخيه الأصغر للدراسة فقط، وكان يشجع أخته الصغيرة على الدراسة إلا أنها كانت تنتظر العريس ولا تهمها الدراسة؛ لذا اكتفت بدبلوم التجارة، وظلت في المنزل تنتظر العريس الذي يطرق بابهم.

عندما أنهى إسلام التعليم الجامعي وجد أن الراتب لن يكفي لسد احتياجات أسرته؛ لذا سعى للسفر والعمل في أي دولة عربية، وبالفعل ساعده خاله على العمل في وظيفة محاسب بالسعودية في الشركة التي يعمل بها، وطوال فترة عمل إسلام كان يرسل كل ما يتقاضاه عدا مبلغ زهيد يعينه على العيش الكفاف.

مع الوقت، وبالتحديد بعد مرور عامين على سفره، أصبح بالنسبة لأسرته الدجاجة التي تبيض ذهبًا وتحوَّل إلى بنك للنقود،

لم تعد له الكلمة الأولى والأخيرة في الأسرة كما كان، أصبحت الكلمة لوالدته فقط، لم يهتم لذلك؛ حيث كان اهتمامه الأول والأخير أن يكونوا ميسورين ومستورين، في البداية لم يشعر بسوء الحالة التي أصبحت عليها الأسرة، لم يعر اهتمامًا لشكوى أخيه المتكررة من تسلط والدته وانفرادها بالرأي، حتى أنها منعتهم من زيارة أعمامهم، كان يرى ذلك أنه من قبيل خوفها عليهم.

في كل زيارة كان تسلُّط والدته بالرأي يزداد وهو لا يلقي بالًا لذلك، حتى أنها كانت تختار له عروسه دون رأيه، ورأى هو ذلك خوفًا منها عليه، رحب باختياراتها دائمًا وكانت أمه ترى ذلك نصرًا لها حتى تحولت إلى رجل البيت مع الوقت، وأصبحت هي الآمر الناهي، وارتاح إسلام لذلك؛ لأنه يزيح عن كاهله بعض المسئولية، وكل ما سيكون على عاتقه هو الإنفاق فقط.

ترك لها اختيار العروس؛ لأن عروسه ستمكث مع والدته في المنزل؛ لذا يجب أن ترتاح كل منهما للأخرى تجنبًا للمشاكل، كم خطبت له والدته وفسخت الخطبة دون رأيه! الكثير من المرات وهو لا يعترض حتى جاءت علياء، لقد أحبها ولا يعلم كيف حدث ذلك.

إلا أن إسلام لم يكن من طبعه الحرب من أجل أي شيء، رغم اعتراضه على ما قامت به والدته إلا أنه لم يتصل بها حتى يعرف

سبب إقدامها على فسخ الخطبة دون إرادته، لقد هددته بأن العروس لن تمكث معها، ومع ذلك أصرَّ هو عليها، ورغم إصرار إسلام على العروس فسخت الأم الخطبة دون حتى إخباره بما فعلت.

دخل على الفيس بوك، وبحث عن ولاء، ولما وجد حالتها متاحة، أرسل لها.

إسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولاء: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إزيك يا إسلام؟ عامل إيه؟

إسلام: هباب وزفت.

ولاء: مالك يا ابني؟ إيه اللي حصل؟

إسلام: تخيلي!! أمي فسخت الخطوبة من ورايا.

ولاء: وإيه الجديد؟ ما هي على طول بتعمل كده.

إسلام: أنا قلت لها: لأ.

ولاء: ما أنت عارف إنها من ساعة ما أنت سافرت وهي بتنفذ اللي في دماغها، إيه الجديد بقى؟

إسلام: حبيت علياء، ومش عارف إمتى ولا حتى إزاي.

ولاء: طيب احكيلي بالتفصيل إيه اللي حصل.

إسلام: أمي اكتشفت إن أخو علياء اتجوز واحدة من غير موافقة أهلها.

ولاء: اتجوزها اتجوزها وألا عايش معاها؟

إسلام: لأ اتجوزها على سنة الله ورسوله، وكان عمها هو وكيلها عشان هي يتيمة، وأخوها رافض عشان عايز يجوزها صاحبه اللي هي بتكرهه أصلًا.

ولاء: طيب مال خطيبتك بالموضوع ده؟

إسلام: أمي شايفة إنه نسب يعزّ.

ولاء: برضه مش شايفة أي مشكلة، أخوها واتجوز بشروط زواج صحيحة، وبعدين اللي عمله سواء صح أو غلط دي حاجة تخصه هو، إيه علاقة خطيبتك بالموضوع كله؟

إسلام: أمي شايفة إن ده يعر أي عيلة وميشرفهاش.

ولاء: طيب وإنت ناوي تعمل إيه؟

إسلام: مش عارف والله يا ولاء أعمل إيه، البت كلمتني وهي مقهورة من العياط بسبب إهانة أمي ليهم.

ولاء: هي كمان أهانتهم في بيتهم؟

إسلام: تخيلي!!

ولاء: لازم تعرف هتعمل إيه، إنت عايز البنت وألا لأ؟

إسلام: عايزها، بس كده في مشاكل بينها وبين أمي، هتعيش معاهم ازاي؟

ولاء: إنت بتستعبط يا إسلام؟ لو عايزها بجد تكلم أهلها وتعتذر لهم، وتاخد أجازة إن شاالله يتخصم من مرتبك، وتعتذر ليهم وترجَّع الشبكة، ولو على المعيشة يا سيدي يا إما تاخدها معاك أو تسيبها عند أهلها، إيه المشكلة؟

إسلام: خايف آخد خطوة زي دي.

ولاء: إسلام، إنت بتستعبط يا ابني؟ ومش عايز تاخد أي خطوة وعمال تلوم على أمك مع إن إنت اللي غلطان، لو إنت كنت بتحبها بجد هتحارب عشانها.

إسلام: إنتِ شايفة كدا؟

ولاء: أيون، إنت عارف أنا صريحة ومش بخبّي، وعلى فكرة إنت عيل.

إسلام: تسلمي.

ولاء: على إيه؟

إسلام: أنا مخنوق قوي يا ولاء وزهقت من إني بقيت مجرد بنك، ومش عارف أعمل إيه، واللي بحوِّشه ببعته لأمي، وفي الآخر لقيتها بتقولي جهزت بيه أختي، يعني مفيش حاجة اتحوشت، أنا زي الطور في الساقية.

ولاء: ابعت لهم اللي يعيِّشهم، وانت حوِّش معاك فلوسك، ولما يبقى حد يتجوز ابقى ساعد باللي تقدر عليه، كده اسمه استكراد.

إسلام: طيب أسيبك بقى، الشباب حضَّروا العشا، اتفضلي معانا.

ولاء: تسلم يا إسلام، طمني عليك باستمرار وعرَّفني عملت إيه.

بعد أن انتهى إسلام من تناول العشاء، دخل على جروب «يوميات مغترب» وتابع المنشورات هناك، نادرًا ما يشارك هناك، ولكنه متابع جيد لكل ما يُنشَر، يعلِّق على المنشورات لكن لا يتحدث مع أي من أعضاء المجموعة، أضاف ولاء في المجموعة وأُعجِب من منشوراتها هناك، وهي الوحيدة التي يتحدث معها على الخاص ويتحدث معها وهو مستريح النفس، أُعجِب بردها على منشور زهرة الياسمين بأن الخيانة انتقاص من قدر المرأة وليست انتقامًا أو أي شيء آخر، كم يحترمها ويتمنى لو يراها فعليًّا وليس افتراضيًّا، وكان يتساءل هل ستكون بنفس القدر من الصراحة والراحة التي هي عليها افتراضيًّا؟ وكالعادة هرب من إجابة سؤاله وهرب من كل شيء وخلد للنوم للاستعداد ليوم عمل جديد.

جروب يوميات مغترب:

إسلام: النهاردة اتوفى زميل معانا في الشركة، مات في الشركة، مات في الغربة وكان نفسه ينزل الأجازة يشوف مراته وولاده وحشوه قوي، مات من غير ما يشوفهم، يلعن أبو الغربة

على الفلوس على الأحوال اللي خلّتنا نتغرب عن أهلنا ونموت في الغربة ونبقى لكل اللي حوالينا مجرد بنك فلوس.

أنهى إسلام كتابة منشوره، وهو يشعر بغضب شديد، لقد توفى اليوم زميل عزيز عليه في العمل «عم صابر»، هكذا كان يحب أن يناديه، يذكِّره بطيبة والده، لقد كان بمثابة الوالد لكل مَنْ في الغربة، وكثيرًا ما كان يشكو أنه تحوَّل لمجرد بنك بالنسبة لأسرته، وكان إسلام يخشى أن يواجه نفسه بتلك الحقيقة؛ حتى اتصلوا بزوجته التي قابلت الخبر بمنتهى البرود، وكلمة الله يرحمه، وسألت متى ستُرسَل المستحقات المالية! لم تسأل عن الجسمان كيف سيُرسَل ومتى، بل سألت عن الأموال.

كانت صدمة بالنسبة لإسلام، جعلته يتساءل هل سيكون مصيره كما كان مصير عم صابر، فهرب إلى عالمه الافتراضي، وذهب ليقرأ التعليقات على منشوره الذي سرعان ما توافدت عليه كلمات العزاء ثم الرد الصادم من يحيى: وانت مستغرب ليه؟ ما هو اللي سافر وفضَّل الفلوس على وجوده وسط أهله طبيعي إنه يتحول لبنك، فين وجوده كأب وزوج؟

صُدِم إسلام من الرد، ولكن فعلًا عم صابر فضَّل أن يسافر حتى يوفر لأسرته ما لم يستطع توفيره وهو معهم، فرق العملة

والعيشة الرغدة بدلًا من عيشة الستر وهو معهم، ولكن هل تحوَّل هو الآخر لمجرد بنك؟ هل سيواجه ذات المصير؟ فلعن الغربة والظروف التي جعلته يسافر، ولكنه قرر أن يفعل كما أخبرته ولاء، سيدَّخر ما يعينه على الزواج وعمل مشروع يقتات منه عندما يعود ويتزوج، ولكن سؤالًا آخر تبادر إلى ذهنه: كم من السنوات سيمر عليه لكي يكوِّن نفسه ويتزوج؟ هل ينتظر حتى يتخطى الأربعين ثم يبحث عن عروس في العشرين ويواجه مشاكل فرق السن؟ أم يتزوج وهو في الغربة ويواجه مصير عم صابر، أم أن زوجته المستقبلية ستخونه إذا غاب عنها لشهور؟

دخلت نورا تعلِّق على منشور إسلام قائلة: فرقت إيه؟ يموت هنا أو يموت في الغربة، احنا أصلًا ميتين.

نورا

كان رد نورا ردًّا صادمًا آخر يواجه إسلام بحقيقة أخرى، إننا في داخلنا صرنا أمواتًا، ما هذا اليوم الذي يفاجأ فيه بحقائق يعرفها ولكنه يهرب من مواجهتها! ولكن من نورا هذه؟!! إنها أول مرة تعلِّق على منشور في المجموعة ولم تنشر من قبل، أراد أن يعرف من هذه الـ "نورا"، ودخل ليتحدث معها على الخاص..

إسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نورا: وعليكم السلام.

إسلام: أنا إسلام، وبصراحة ردك اللي خلاني أدخل أتكلم معاكِ.

نورا: ماله الرد؟ ما كلنا فعلًا ميتين بس لسه بنتحرك.

إسلام: كلامك فيه شوية اكتئاب.

نورا: أنا مش فاضيالك، سلام.

صُدِمَ إسلام من رد نورا وطريقة إنهائها للمحادثة، إلا أن ذلك لم يكن غريبًا عليها، فهي اعتادت دخول الشباب للتحرش بها من خلال الفيس بوك؛ لذا أرادت غلق ذلك الباب حيث إنها لم تكن في مزاج يمكِّنها من الكلام، فهي بالفعل تشعر باكتئاب

شديد، تشعر أنها تحتاج أن تقابل وائل صديقها وحبيبها لكي يعطيها نصيبها من المخدِّر؛ فهي تحتاج لكليهما الآن.

نورا شابة في الرابعة والعشرين من عمرها ولكنها تشعر أنها في الخمسين، انفصل والداها منذ عام تقريبًا، أنهت هي دراستها الجامعية وحصلت على ليسانس آداب لغة إنجليزية، تعرفت على وائل بعد انفصال والديها مباشرةً من خلال أصدقاء النادي، شعرت بمشاعرها تتحرك نحوه وهو أيضًا تقرَّب منها، ولمَ لا وهي جميلة، ممشوقة القوام، بيضاء اللون، ذات عيون عسلية، متوسطة الطول، ذهبية الشعر؟!

لم تكن من ذلك النوع المتدين، كانت تسدل شعرها ليغطي كامل ظهرها، ناعم هو بطبعه، تحب أن تتركه كما هو؛ ليتمرد كما تفعل هي منذ طلاق والديها، تشعر بالذنب وأنها السبب في طلاقهما، في تلك الفترة جربت كل شيء؛ السجائر، والمخدرات، وكانت الفرصة الذهبية أمام وائل ليبيع لها المخدرات، ويستفيد من علاقة حب يخوضها ويتباهى بها أمام رفقائه.

قررت أن تتعافى من إدمان المخدرات، وكذلك أراد صديقها؛ لذا ذهبا سويًّا لعيادة العلاج من الإدمان، ومنذ ذلك الوقت وهي تعاني من نوبات اكتئاب شديدة بسبب فقدان المخدِّر، تشتاق إليه وتحتاجه كما تحتاج حبيبها وتشتاقه.

تقطن في القاهرة، ولكنها كثيرة السفر منذ طلاق والديها، وتعيش مع والدتها التي اكتفت بالعمل بعد الطلاق ونسيت ابنتها وبيتها؛ لذا لم تعارض خروج ابنتها وسفرها الدائم كي لا تضطر أن تكون معها باستمرار، لم تشعر والدتها بالتغير الذي طرأ عليها منذ اعتادت على الإدمان، لم تلحظ تدخينها كأن كلًّا منهما تعيش في عالمها الخاص، ولا تدري عن الأخرى شيئًا.

اعتادت نورا على ضرب وائل وإهانته لها، وكأنها تنتقم به من نفسها، تنتقم من كونها السبب في طلاق والديها، أو تسترجع به والدها الذي اعتاد ضربها بطرقٍ وحشية دائمًا ما كانت تترك آثارها على جسدها الممشوق.

وجدت نورا مجموعة يوميات مغترب في الترشيحات لها وهي تطالع صفحة الفيس بوك الخاصة بها، دخلت على المجموعة ووصفها، أعجبتها المجموعة فطلبت الإضافة ووافقت سميحة على إضافتها، ظلت تتابع المجموعة في صمت ولا تشارك، حتى رأت المنشور الخاص بإسلام مما استفزها لكي تشارك فيه، لم تستغرب دخول الشباب للتحرش بها؛ لذا ظنت أن إسلام أحد هؤلاء المتحرشين.

الوليد

بعد أن اتصل ممدوح بغريب، هرع غريب إلى زوجته التي كانت مع أخيها في شقتها، كم سعد غريب بهذا الخبر وتمنى أن يكون المولود ذكرًا لكي يكمل حلمه في مملكة غريب السمنودي.

كان الحبور الذي وجده ممدوح في وجه غريب بشرى لإعلان غريب زواجه من وفاء، دخل غريب تملأ وجهه علامات السعادة والحبور بخبر تأخَّر عليه أعوامًا ليعوضه الله خيرًا على صبره ويستجيب لدعائه، هرع غريب ليعانق وفاء ويحتضنها فرحًا بالخبر، غير شاعر بوجود ممدوح الذي تنحنح كي يشعر غريب بوجوده..

غريب بفرح: آسف يا ممدوح، الفرحة بخبر حمل وفاء نستني الدنيا، أهلًا بيك، عامل إيه؟

ممدوح: أنا الحمد لله، مبارك عليك حمل وفاء، ناوي على إيه؟

غريب: من النهاردة خبر جوازي من وفاء هعلنه لكل الناس، وإنت بكرة تعرَّف الموظفين في الشركة إن وفاء استقالت واتجوزنا.

وفاء باستغراب: استقالة ليه يا غريب؟

غريب: أولًا عشان حضرتك حرم غريب السمنودي، وثانيًا عايزك تريحي على الآخر عشان ولي العهد ييجي براحته، مش عايز مشكلة تحصل في الحمل، أنا استنيته كتير.

وفاء: طيب ممكن آخد أجازة.

غريب بحزم: آسف يا وفاء، لازم تريحي من النهاردة، وعلى فكرة في الطريق دلوقتي ٢ شغالين هيقوموا بكل طلباتك وطلبات البيت، عايزك أميرة في البيت متعملش أي حاجة، وبكرة بإذن الله هنروح للدكتور وجدي يتابع حملك، ده دكتور العيلة وإنتِ واحدة من العيلة، وعلى فكرة وجودك في الشقة دي مؤقت لغاية لما الفيلا بتاعتك تجهز.

ممدوح وهو غير مصدق لهذا التحول: فيلا لأختي؟!!

غريب: أيوه، وفاء مش أقل من سميحة، الاتنين على ذمتي، وكل واحدة فيهم أم ولادي، ولازم أساوي بينهم.

وفاء: يعني الأول أنا كنت أقل من إنك تساويني بمراتك؟

غريب: اللي فات مات، استعدي لميعاد الدكتور بكرة، النهاردة أنا هضطر أسيبك عشان أبلِّغ أهلي ومراتي بجوازي منك وحملك، يا ريت يا ممدوح تبات معاها النهاردة، والأيام اللي أنا فيها عند سميحة إنت هتبات معاها، مش عايزها تحس بالوحدة أو الفراغ، ولازم حد يراعيها وياخد باله منها.

ممدوح: حاضر من عينيا، أنا مستني من زمان كلمة خالي.

فرح ممدوح بالتحول الذي حدث في حياة أخته، أخيرًا زال همُّ أن يعرف أحد زواجها من غريب، لقد كان شرط غريب ألا يعلم أحد غير عائلتها بزواجها منه، وها هي تحمل في أحشائها طفل غريب الذي طال انتظاره، إلا أنه خشي من معرفة سميحة بزواج زوجها من أخرى وحملها، ودارت في خلده كافة الخواطر السيئة؛ فترك أمره وأمر أخته لله فهو وكيلهم في الدنيا والآخرة.

أما وفاء قدر فرحها بإعلان زواجها من غريب إلا أنها شعرت بغصة، فالآن فقط تعيش في فيلا مثل ضرتها، الآن فقط تتساوى معها! ألم تكن زوجته قبل ذلك؟! ماذا إن لم يكن حملها؟ هل كانت عشيقة سر تُعامَل مثل العشيقات والآن فقط هي زوجته؟! لم تخشَ وفاء من معرفة ضرتها بزواجها، ولكنها خشيت من رد فعل عائلة غريب ومعاملتهم لها؛ لكونها أقل منهم في المستوى الاجتماعي، خشيت من نظرتهم لها لرضاها الزواج في السر طوال تلك الفترة.

شعر غريب بغصة وفاء التي بدت ظاهرة على وجهها، ودون أن تتحدث فهم ما دار بخلدها ولكنه آثر الصمت، فالصمت أحيانًا أفضل من الكلام، ولكنه تحضَّر جيدًا لمواجهة أهله وسميحة بأمر زواجه.

زواج

استسلم إسلام لما فعلته والدته ولم يعقِّب؛ وبالفعل فُسِخَت خطبته من علياء رغم سخطه مما حدث، إلا أنه لم يكن بالشجاعة الكافية لاتخاذ قرار بإتمام الزواج، لم تكن لديه الرغبة في اصطحاب زوجته معه في بلاد الغربة وأراد أن يهرب من المشاكل التي يمكن أن تحدث نتيجة إصراره على الزواج بعلياء، وفرحت والدته كثيرًا بصمته واستسلامه، وأعلنت انتصارها؛ فقد أصبحت لها الكلمة الأولى والأخيرة في كل شيء، حتى في زواج ابنها الكبير، وبمنتهى الإصرار بحثت عن أخرى ترضى عنها.

أما إسلام فكان ساخطًا على نفسه من استسلامه ورضوخه لأمر والدته، لم يكن يعرف أنه جبان غير قادر على المواجهة لأمر يريده مهما كانت العواقب، لقد غيرته الغربة...علمته أن يخاف، وأن يخشى العواقب، ويترقب السلامة في كل شيء حتى وإن كان على غير رغبته، لقد أصبح شخصًا آخر غير إسلام الذي كان يعرفه.

تذكَّر مواقفه قبل السفر، وكيف كانت له اليد الطولى في كل شيء، وكيف كانت كلمته لا تُرَدُّ، لم يكن يخشى أحدًا ولا لومًا ولا أي عواقب، لو كان تعرَّف بعلياء قبل سفره لكان تزوجها ولتفعلْ

والدته ما تريد، وتأوه آهةً كبرى ندمًا على إسلام الذي انتهى أمره عندما تغرَّب عن حياته، ولعن الغربة وما تفعله في حياة البشر.

وكالعادة، أراد الهروب ولجأ الى الفيس بوك، لم يجد ولاء، ولكنه دخل كتب لها على البريد الخاص ما يشعر به، يعرف أنها ستوبِّخه على تخاذُله، ولكنها الملاذ له عندما تضيق في وجهه السبل.

بعد أقل من شهر فوجئ إسلام باتصال من والدته تبلغه أنها وجدت العروس المناسبة، وأنها سألت عنها جيدًا، وطلبت منه النزول في إجازة مبكرًا لإنهاء الزواج، هذه المرة لم يطلب أن يعرف أي شيء عن عروسه ولا حتى طلب معرفة اسمها، استسلم لوالدته وطلب منها شراء شبكة العروس، وتأجيل الزفاف، وكتب الكتاب لمدة شهرين، حتى موعد إجازته السنوية، وتم ما طلبه.

وقبل مرور أسبوع اتصلت والدته تخبره بتقدُّم عريس لأخته، وأنها موافقة على هذه الزيجة، وطلبت منه الموافقة، رفض إسلام الموافقة قبل السؤال عن العريس المُرتقَب الذي تبيَّن له بعد السؤال عنه أنه كاذب في كل المعلومات التي قالها عن نفسه؛ لقد قال لهم: إنه حاصل على البكالوريوس في التجارة ويعمل محاسبًا في أحد المصانع، ثم تبيَّن أنه حاصل على دبلوم في التجارة وهو عامل في المصنع.

رفض أخوال إسلام هذه الزيجة، إلا أن الأم وافقت عليها تحت ضغط أخته، وتمت الخطبة رغم رفض إسلام ورفض أخواله، ندم إسلام على استسلامه، واستغرب موافقة أمه على كاذب أفاق لمجرد إصرار أخته على الزواج به، ألم يكن أولى به وهو الرجل أن يصر على مَنْ تحرَّك لها قلبه؟ وهي تستحق أن يحارب من أجلها، قاطعهم إسلام حتى موعد إجازته، ولكنه كان يستشيط غضبًا مما يحدث، حتى فوجئ بأخته هي من تنهي الخطبة، استصغر نفسه كثيرًا، فأنثى صغيرة استطاعت أن تنفِّذ ما تريد، وهو الرجل الكبير البكري لم يستطع ذلك.

جاء موعد إجازته السنوية، وسافر إلى بلدته، وتمت زيجته على من اختارتها أمه، بعد مرور أول أسبوع من الزواج الذي تم في نفس أسبوع نزوله في إجازته السنوية، بدأت المشاحنات، فالعروس تتعامل معه على أنه مجرد بنك متحرك تريد منه المال والأشياء الكثيرة، فلا يمر يوم دون طلبات، طلباتها لا تنتهي أبدًا، وتدخل والدها في حياتهم.

ندم إسلام على تسرعه في الزواج، ولكنه كالعادة ندم في وقت لا ينفع فيه الندم، لقد تزوج بالفعل، ورضيت والدته بعروسه ومكوثها في المنزل معهم بعد سفره، وهذا كان أهم ما

يريده إسلام، قال في نفسه أن يصبر على زوجته حتى يسافر، ولكن المشاكل تزداد يومًا بعد يوم، فقطع إجازته قبل موعدها وسافر علَّ المشاكل تنتهي، ولكنها زادت، وتدخُّل والد عروسه زاد عن الحد، حتى تحولت المشاحنات والمشاجرات لمشاكل كبرى تركت زوجته على إثرها بيت الزوجية، وذهبت لمنزل والدها الذي كان يتعامل مع إسلام على أنه تزوَّج ودخل شباك الزواج، ولن يستطيع الفرار منها، وفكر إسلام أخيرًا في الطلاق، ولعن الزواج والغربة لما حدث، وقرر ترك زوجته هكذا لا هي متزوجة ولا هي مطلَّقة.

طلاق

بعد شعورها بالألم، ذهبت زهرة للمستشفى، لم يكن عادل يعلم بألمها ولا حملها حتى صرخت من الألم فهرع بها إلى أقرب مستشفى، وبعد أن استفاقت طلبت من عادل الطلاق ولكنه رفض طلاقها وهي على هذه الحالة من الوهن، وطلب منها الانتظار حتى تتعافى.

خرجت زهرة من المستشفى على منزل عادل حتى استردت عافيتها، وطالبت عادل بالوفاء بوعده لها وإطلاق سراحها، وبالفعل طلَّقها، وأعطاها كافة حقوقها المادية، ولم يبخسها شيئًا. كم حزن على فراقها وبُعدها عنه.

لم يعلم عادل هل هذا الحزن بحكم العشرة والحب القديم؟ أم أنه كان لا يزال يحبها دون أن يدري؟ هو لا يدري الإجابة، لكنه يعلم يقينًا أن هذه الزهرة لم تعد له ولا من نصيبه، وأصبحت سيدة المنزل الجديدة هي ندى.

ذهبت ندى لشقة عادل التي يقيم بها هو ووالدته، أقامت بها هي الأخرى مع ابنتها، لم ترعَ ندى أم عادل كما كانت تفعل زهرة، بل إنها وبعد أقل من أسبوع، بدأت تتذمر من ذلك الوضع،

وتطالب عادل أن يخدم والدته؛ فهي ليست مسئولة منها، وأصبحت عصبية المزاج.

لم تكن حالة ندى تلك بسبب والدته حقيقة، ولكن سببها شعورها بالغيرة من زهرة، والحالة التي أصبح عليها عادل، ورفضه ورفض والدته تغيير أي ديكورات أو قطع أثاث في المنزل، حتى حجرة نوم زهرة أصبحت ندى مجبرة أن تعيش فيها، لا أنثى تحتمل أن تعيش على أثاث تعلم أن أخرى كانت تشاركها زوجها عليه، بل واختارته وعاشت عليه، تشعر أن ذكريات عادل وزهرة تطاردها، وأصرت على العودة مرة أخرى لشقتها والعيش بها، وليتصرف عادل مع والدته.

وبعد إصرار ندى وافق عادل على طلبها، ولكن دون أن يدري شعر كم كانت زهرة تعينه على بر والدته وخدمتها دون تذمر، وكم كان يستاء من عدم تذمرها، ها هو الآن يرى أمامه كل ما كان يرفضه في زهرة ويتمنى أن يراه، كم كان أنانيًّا لا يحب غير نفسه، ماذا سيفعل مع والدته الآن؟ لا هي أحبت ندى، ولا ندى استطاعت أن تكسبها لصفها، وهو مشتَّت بينهما، فدعا ربه أن يعينه على ما وصل إليه.

ذهبت زهرة بعد طلاقها لشقة والدتها؛ حيث كانت تتمنى أن

تعيش منذ أن علمت بزواج عادل، ولكن كانت تشعر بالحزن لفقد طفلها، ذهبت للمدرسة بعد الطلاق لتمارس حياتها الطبيعية، وكانت تذهب للنادي بعد المدرسة، وتقضي بقية اليوم على الفيس بوك ومواقع التواصل الأخرى باسمها "زهرة الياسمين".

في المدرسة - وكما كانت تتوقع- بدأت المضايقات ومحاولات التودد من بعض المدرسين صائدي المطلقات، والذين يرون المطلقة أنثى تسعى للحصول على متعتها، وبدأت مضايقات أخرى؛ مثل: تهرُّب زميلاتها منها خوفًا من أن تخطف منهن أزواجهن، إن ما يحدث الآن مع زهرة كانت تتوقعه؛ فهي كانت تعرف كيف ينظر المجتمع ويتعامل مع المطلقة، دائمًا ما يتعامل معها على أنها جرثومة ومرض يجب القضاء عليه، وكما هي عادة زهرة لم تكترث لكل ذلك، أما في النادي فلم يكن أحد يعرفها أو يعرف زوجها؛ فهي لم تكن تذهب معه إلى هناك، حيث كانت دائمًا تذهب وحدها، وقررت زهرة أن تكوِّن معارف وصداقات وأن تنهي فترة الوحدة هذه.

حاولت التواجد أكثر في النادي والاشتراك في المسابقات الثقافية التي تُقام به، والذهاب للمكتبة للقراءة، كم كانت تحب القراءة - خاصةً الشعر والروايات- والغريب أن زهرة لم تشعر

بالوحدة والفراغ بعد الطلاق؛ فكان وقتها مشغولًا دائمًا بالقراءة، والعمل، والنادي، والمسابقات، والندوات، والجمعية الخيرية التابعة للنادي، وعندما ينتهي يومها وتذهب للمنزل تفتح الفيس بوك وتبحث عن ساقي الورد لتتحدث معه.

لم تعرف زهرة من هو ساقي الورد ولا شخصيته الحقيقية، ولكنها كانت تثق في آرائه، كانت تحكي له ما تمر به وينصحها بما تفعل، ولكن المضايقات التي كانت تتعرض لها زهرة كانت كثيرة وشديدة لم تحتملها، وفي إحدى المرات وهي تتحدث معه كانت منهارةً اضطر مع انهيارها أن يحدِّثها صوتيًّا لأول مرة، وطلبها على برنامج المحادثة..

ساقي الورد: مالك يا زهرة الياسمين؟ في إيه؟

زهرة الياسمين- منهارة-: تعبانة مش قادرة، اللي بيحصل ده كتير أوي، ده حرام، وانهارت باكيةً.

ساقي الورد: شغلتيني، أرجوكِ قولي إيه اللي حصل؟

زهرة الياسمين: مش قادرة، بجد مش قادرة، كل اللي أقدر أقوله: إني كرهت الناس كلها وتعبت.

ساقي الورد: بصي، الحل الوحيد دلوقتي يا زهرة إنك تروحي لدكتور نفسي، لازم وضروري.

زهرة الياسمين باندهاش وهي لا تزال تبكي: إنت عرفت اسمي منين؟

ساقي الورد: إيه ده؟ إنتِ اسمك الحقيقي زهرة؟ أنا قلته اختصار لزهرة الياسمين.

ندمت زهرة على هذا الرد المتسرع، ولكنها قبلت فكرة أن تذهب لطبيب نفسي، إنها تعلم من داخلها أنها تحتاج مَنْ يرشدها للطريق الذي تمشي به، بحثت زهرة عن أسماء الأطباء النفسيين، حتى أنها سألت ساقي الورد إذا كان يرشح طبيبًا بعينه، حتى قررت الذهاب لطبيبة كانت قد قرأت لها مقالات عدة في عدة دوريات، وأعجبها أسلوبها وطريقتها في الكتابة وتشخيص الحالات المجتمعية.

مواجهة

طلب غريب من عائلته الاجتماع في منزله في اليوم التالي بمعرفته بخبر حمل وفاء؛ ليخبرهم بزواجه وحمل زوجته، ظل طوال الليل يفكر في رد فعل الجميع إلا أن الوحيدة التي لم يفكر فيها أو في رد فعلها هي سميحة، وكأنها ستوافق رغمًا عنها وأنها لابد لها من الخضوع للأمر الواقع.

وبالفعل حضر الجميع على موعد الغداء، وبعد تناولهم الطعام بدأ غريب في إخبارهم بزواجه من وفاء وحملها، وكان رد فعلهم جميعًا منصبًّا على فرق المستوى الاجتماعي بين عائلة السمنودي وعائلة وفاء، وكيف سمح لنفسه بالاقتران بمن هي دون المستوى، إلا أن غريب حسم الموقف بأنها الآن زوجته وأم ابنه، وأنها ليس لها من عائلتها سوى أخيها ممدوح، وهو محاسب ومحترم ويمكن ترقيته في العمل ليتناسب مستواه مع مستوى العائلة، وبالفعل اقتنع الجميع ورضخوا للأمر الواقع، ولم يختلف موقف والدَيْ سميحة عن العائلة، فلم يهتما بزواج غريب من أخرى، وإنما اهتما فقط بالفارق في المستوى الاجتماعي ولا شيء آخر.

أما سميحة فلم يكترث لها أحد، ولم يلحظ أيٌّ منهم الوجوم

الذي سيطر عليها، كيف يتزوج عليها؟ لقد صدقت مخاوفها التي شعرت بها طوال أربع سنوات وكانت تكذِّبها، لماذا تزوج عليها وطعنها في كرامتها دون ذنب جنته؟ لقد عاقبها غريب على شيء ليس بيدها، لقد عاقبها على قدر ونصيب كتبه الله عليها.

تحجرت الدموع في مقلتيها، ولم تنبس ببنت شفة، ظلَّت صامتة تتابع الجميع وهم يتناقشون في فرق المستوى دون أن يكترث أحد للخنجر الذي طعنها به غريب، خافت على ولديها من التفرقة بينهما وبين الوليد المنتظر، وكذلك خاف الولدان من أن يقل حب والدهما ورعايته لهما، وعبرا له عن ذلك، فطمأنهما بأنهما ولداه حتى وإن أصبح لديه عشرة من الأولاد، فجميعهم متساوون في الحب والعطف والرعاية؛ لأنهم أولاد غريب السمنودي.

فرح والد غريب ووالدته كثيرًا بخبر حمل زوجة غريب الثانية، فأخيرًا سيتحقق حلم إمبراطورية السمنودي الكبرى، وطلب والداه رؤية العروس، وتهنئتها على حملها، وأوصيا غريب على رعايتها ورعاية الجنين؛ حتى تنجب في أمان وأن يستعد لمواليد كثر.

كان كلام الجميع بالنسبة لسميحة شيئًا متوقعًا، فمنذ متى وهناك من يكترث لها أو حتى يشعر بوجودها أو يراعي مشاعرها؟ فهي دائمًا الغلطة التي يخبرها بها الجميع، جاءت غلطة إلى هذه الدنيا، فقد جاءت أنثى، ثم استأصلت الرحم

فأصبحت نصف أنثى، وأصبحت أرضًا بورًا، مهما رويتها وتعبت في رعايتها وحرثها لن تنتج لك الثمار، لقد تعبت سميحة من هذه المعاملة، ولكن ليس بيدها حيلة، لا شيء تستطيع فعله لتغيير نظرتهم أو تغيير ما حدث فهي إرادة الله، ولكن كانت تفكر كيف تخلق هي واقعها الجديد، واقعًا غير مفروض عليها، واقعًا تفرضه هي على الواقع ذاته، انتظرت حتى غادر الجميع، وطلبت من غريب أن تنام وحدها الليلة؛ لأنها تريد الانفراد بنفسها قليلًا، ولم يعترض غريب، إلا أنه استغرب طلبها، فمنذ متى تنفرد زوجته بنفسها وتفكر؟ إلا أنه لم يبدِ أي اعتراض، وأخبرها أن الأسبوع سيكون مناصفةً بينها وبين ضرتها ولم تعترض هي، ولم ينتظر منها غريب أي اعتراض.

ظلت سميحة تفكر طوال الليل في حالها وما آل إليه الوضع الجديد، حاولت النوم مرارًا إلا أن النوم أبى أن يداعب جفنيها، فظلت تفكر كيف تصنع سميحة جديدة تكترث لنفسها وحياتها الشخصية، سميحة جديدة تعيش لسميحة وتلبي رغباتها، فتحت اللاب توب لتتحدث مع يحيى وتتحدث مع أعضاء مجموعتها «يوميات مغترب» علَّها تجد لديهم الإجابة على سؤالها، كيف لها أن تتغير وتكون سميحة جديدة تهتم بنفسها وتصنع حياتها الخاصة وتفرض نفسها على الواقع ولا تسمح للواقع بفرض نفسه عليها؟

وحدة

تحاول نورا قدر الإمكان الابتعاد عن المخدرات، دخلت المصحة لتتعافى، ولكن وائل ابتعد عنها، وطلب منها الطبيب المعالج الابتعاد عنه، تظاهرت بالتعافي في المصحة؛ لتخرج وتتمكن من الوصول لوائل، ولكنه ابتعد عنها فهي لم تعد تغريه الآن، لقد تعرَّف على أخرى أجمل منها وأغنى منها تساعده على شراء المخدرات لكليهما، لم يستطع وائل الصمود والتعافي؛ لذا ذهب لمن تساعده.

واشتاقت نورا له، وهي لا تعرف هل تشتاق إليه أم إلى معاملته السيئة لها؟ تحتاج من يعاملها بقسوة؛ ليعاقبها على طلاق والديها، لم تقتنع حتى الآن أنها لا يد لها في هذا الطلاق الذي تأخَّر كثيرًا عن موعده، أب مريض نفسي يرفض العلاج، وأم لم تستطع إقناعه بالعلاج فضلًا عن تحمُّل إساءاته المتعددة لها ولابنتها، لقد تحررت الأم من الإهانة والضرب وذهبت للعمل؛ لتنسى كونها أنثى، فهي لا تريد الارتباط بآخر قد يكون شبيهًا بزوجها السابق، وفي خضم الأحداث وجدت نورا نفسها وحيدة تعاني الوحدة والاكتئاب، وتفتقد القسوة التي كان يعاملها بها والدها.

حاول معها طبيبها المعالج لكي تتعافى من مرضها ذلك،

ولكنها في داخلها ما زالت مقتنعةً أنها تستحق تلك القسوة والضرب والإهانة وأن والدها أعلم بذلك، لم تنجح في تخطي هذه المرحلة، ولكنها تعلم أنها لم تُرِدْ أن تخرج من هذه المرحلة، تحبس نفسها فيها، وتشعر أن والدتها كرهتها، لذا ابتعدت في العمل.

تشعر أن الجميع يحمِّلها ذنب انفصال والديها، تقتلها الوحدة وافتقاد وائل، لا تصدق حتى الآن أنه وجد غيرها، ونبذها كما نبذها الجميع، ما زالت تشعر بالوحدة وتريد أن تجد من يحبها، تبحث عن الحب مهما كلفها من ثمن، تريد أن تشعر أنها مرغوبة.

قتلتها الوحدة، فدخلت على مجموعة يوميات مغترب، وتابعت المنشورات، ولأول مرة أرادت أن تشارك في المجموعة لا تريد أن يجيبها أحد، ولكنها فقط أرادت أن يسمعها أحد، فكتبت: "الوحدة هتقتلني، عايشة مع أمي في نفس البيت، وآخر مرة شوفتها كانت من أسبوع، معرفش عنها حاجة ولا هي تعرف عني حاجة، وحبيبي سابني وعرف واحدة تانية أجمل مني، لسه متعالجة من الإدمان بس حاسة إني محتاجة للمخدرات دلوقتي، عايزة حاجة تخرَّجني من حالة الوحدة، مع المخدرات بحس إني في عالم تاني غير اللي أنا عايشة فيه، وساعات بحس إني عايزة أموت وأستريح خالص، بس بخاف لو انتحرت ونجحت، هقول إيه لربنا؟ أنا مش محجبة ولا ملتزمة، بشرب خمرة وسجاير ومخدرات،

أنا ميتة من زمان بس لسه فيَّا نَفَس داخل نفسي ميخرجش، مش محتاجة حد يرد عليا أد ما أنا كنت محتاجة حد يسمعني".

أنهت كتابة منشورها وضغطت على نشر، لأول مرة تشارك ولا تعرف رد الأعضاء على منشورها، ولكنها كتبت ما تشعر به بالفعل، تعلم أن هناك العديد من المتحرشين سيجدون بها الفريسة المنشودة، ولكنها لم تعد تبالي كيف يراها الناس أو ما يظنون بها، لقد سئمت الجميع وما عاد لهم تأثير على حياتها كما تعتقد.

بعد فترة جاءها إخطار بتعليق على منشورها، لقد دخل ساقي الورد وبحكم عمله كطبيب نفسي نصحها بالتوجه لطبيب نفسي بأقصى سرعة ممكنة ونصحها بعدم الجلوس كثيرًا وحدها، كما دخلت زهرة الياسمين وإسلام ويحيى وكان تعليقهم مثل تعليق ساقي الورد؛ النصيحة بالعلاج النفسي في أسرع وقت ممكن.

لم يكن ما نصحوها به جديدًا عليها، ولكنها ترفض حتى العلاج، ترفض الحياة بما عليها، دخل لها ساقي الورد على البريد الخاص وحاول أن يتكلم معها، ولكنها لم تردّ عليه، وحاول إسلام مثله، ولكنها كانت تقرأ الرسائل في صمت دون إجابة، عندما وجدها ساقي الورد لا ترد، أيقن بحالة من الاكتئاب الشديد قد تدفعها للانتحار أو العودة للمخدرات، حاول أن

يتواصل معها كثيرًا خوفًا عليها، ومحاولةً منه لإنقاذها، ولكنها ترفض الإنصات، وترفض النصائح، ولا تدري ماذا تفعل، حتى وجدت رسالة من يحيى كانت قصيرة، ولكنها كانت القشة التي تعلقت بها نورا، قال لها "كنت زيك وحيد وفاقد الرغبة في الحياة، ولسه كده، بس قربت من ربنا، قربك منه هيساعدك ويقويكي، مش محتاجة بني آدم يكون جنبك، إنتِ محتاجة ربنا يكون جنبك".

جعلتها كلمات يحيى تفكر، لماذا لم تجرِّب القرب من الله؟ أن تغير حياتها بما يقرِّبها من ربها؛ عساها تجد ما تفتقده في حياتها؛ وهو الحب والرحمة، كلمات ربما نسيتها، وربما ما زالت تبحث عنها ولا تعرف لها من سبيل.

دخلت الحمام، واغتسلت، وتوضأت، نظرت في الساعة فوجدت أن الفجر قد اقترب موعده، صلَّت ركعتين لربها، وتضرعت إليه فيهما، وبكت كما لم تبكِ من قبل، وعندما انتهت أذَّن الفجر، فصلَّت وقررت أن تلتزم الصلاة بعد الراحة التي شعرت بها، كما قررت الذهاب لطبيب نفسي كي يساعدها في اجتياز محنتها.

بحثت عن أسماء الأطباء، وظهر لها طبيب اسمه محمد عدنان، قرأت على صفحته على الفيس بوك تعليقات بعض المرضى ودعاءهم له بعد تماثلهم للشفاء، وقررت الذهاب له علَّه يكون طوق النجاة لها.

لم تكن تعلم أن محمد عدنان ذاته هو ساقي الورد، وكيف لها أن تعلم وهو لم يخبر أحدًا عن كونه طبيبًا نفسيًّا أو عن اسمه الحقيقي؟

ذهبت نورا لعيادته، وقصَّت عليه حالتها، فنصحها بضرورة دخولها مصحة نفسية لكي تتمكن من العلاج، وطلب رؤية والدتها، بالفعل ذهبت معها والدتها للطبيب، وذلك بعد رؤية آثار آخر محاولة انتحار لنورا عن طريق الصعق بالكهرباء خافت على وحيدتها، وأدخلتها المصحة، وتابعت حالتها مع الطبيب المشرف عليها.

كان من ضمن نصائح الطبيب لوالدة نورا أن تتفرغ لها، وأن تخبرها أن طلاقها من والدها ليست هي سببه، وإنما طباع والدها الشاذة والصعبة التي لا يقوى أحدٌ على احتمالها، استجابت الوالدة لنصائح الطبيب، وفرَّغت الوقت لزيارة ابنتها يوميًّا والتحدث معها عن والدها وطباعه التي لا تُحتمَل، وكيف كان الطلاق هو السبيل الوحيد للخلاص من ذلك العذاب.

استمرت نورا في جلسات علاجها في المستشفى، ولكن كان افتقاد وائل يقلقها، لم تستطع حتى الآن التعافي منه ومن تعلقها المرضيّ به، وكان كلامها مع د. محمد يريحها كثيرًا، فقد كانت تشعر أن جبالًا من الهم تُزاح عن عاتقها، وفي المصحة تعرفت على "نجلا" طالبة في الصف الثالث الثانوي الأزهري، وأصبحتا صديقتين.

نجلا دخلت المصحة سابقًا بسبب الإدمان، وتعافت منه،

كانت في تلك الفترة في المرحلة الإعدادية، توفى والدها وتفرغت والدتها لشئون الدعوة إلى الله وكانت تسافر كثيرًا، نجلا هي الأخت الصغرى لولد يكبرها بخمسة عشر عامًا، وأخت تكبرها بثلاثة عشر عامًا، الأخ متزوج ويأتي في زيارات على فترات متباعدة نظرًا لعدم وجود الأم، أما الأخت فتعمل في أحد البنوك الكبرى وتصل المنزل متأخرة، أهمل الجميع نجلا حتى تعرفت على مجموعة من الأصدقاء، ومنهم عرفت طريق المخدرات، تعاطت المخدرات دون أن تعرف أنها مخدرات وأنها أصبحت مدمنة، كانت تغيب بالأيام عن المنزل ولا يشعر بها أحد حتى اكتشفت والدتها ذات يوم غيابها، وبحثت عنها حتى وجدتها تبيت مع إحدى صديقاتها.

خافت الأم على صغيرتها، فأجرت لها التحاليل والكشوفات لتتأكد من سلامتها وعفتها، وكان أصعب الكشوفات على نجلا هو كشف العذرية، شعرت أنها تُنتَهك وجُرِحت في مشاعرها جرحًا كبيرًا، كيف لا تثق بها والدتها لهذه الدرجة؟ هي تعلم الحلال من الحرام ولم تجرؤ يومًا على انتهاك حرمات الله، كيف تنتهك براءتها بهذا الشكل المهين؟ فرحت والدتها عندما وجدتها بكرًا، إلا أن جرحًا غائرًا ظل ملازمًا لنجلا، يؤرق نومها، ويجعلها تبكي من حين لآخر كلما تذكرته.

وعندما علم أخوها ما فعلته، ضربها وطردها من المنزل أمام والدتها في منتصف الليل بملابس النوم، لجأت لجارتها لتبيت لديها، وفي اليوم التالي قررت والدتها إيداعها مصحة للعلاج من الإدمان، وبالفعل تعافت من الإدمان في فترة وجيزة وصفها الأطباء أنها معجزة، وطلبوا من والدتها آنذاك أن تفرِّغ وقتًا لابنتها حتى لا تعود للمخدرات مرة أخرى.

تفرغت الأم للمنزل ظاهريًّا، حيث جعلت عملها في الدعوة من خلال برامج المحادثات والمحمول، ولم تلقِ بالًا لابنتها، وتعرفت نجلا في تلك الفترة على مجموعة أخرى من الأصدقاء هربت لديهم بعد انشغال الجميع عنها.

بحثت عنها الأم كثيرًا، وأبلغت الشرطة عن اختفاء ابنتها حتى وجدتها لدى صديقة لها،كان رد فعل الأم وقتها أن قصت شعر ابنتها، وضربتها، وأودعتها مصحة نفسية لعلاج اضطراب سلوكها، ولعقابها في ذات الوقت، عندما تعرفت عليها نورا كانت قد أمضت ثلاثة أشهر بالمصحة ترفض الأم زيارتها أو الحديث معها، ولا أحد يزورها، كانت الحالة النفسية لنجلا سيئة جدًّا، ولكنها ارتاحت لنورا وللحديث معها، إلا أن نورا - وبعد مرور شهر على العلاج- بدأت حالتها في التحسن، وخرجت من المصحة، وتركت نجلا على وعد بالاتصال عند خروج نجلا من المصحة، والذي تلا

خروج نورا بشهر كامل، واستمرت زيارات نورا ونجلا الأسبوعية للطبيب، ولكن كانت تذهب كل منهما مع والدتها.

لقد شعرت السيدة جليلة ببعدها عن نورا أخيرًا، وعرفت أنها السبب في حالتها ببعدها عنها، فالسماح لنورا بكل ما كان محرَّمًا عليها أثناء وجود والدها لم يملأ فراغ غيابها عن ابنتها، قررت جليلة التواجد مع ابنتها قدر الإمكان وتخصيص وقت يومي لها حتى فوجئت جليلة بنورا تطلب منها ملابس محجبات؛ لأنها قررت ارتداء الحجاب.

فرحت جليلة بالتزام نورا كثيرًا، فهي الآن تواظب على الصلاة، وتسعى نحو الالتزام، ابتعدت عن المخدرات أخيرًا، وعن الخمور، ولكنها ما زالت تدخن، إلا أنها تحاول التقليل من هذه العادة.

دخلت نورا على البريد الخاص بها على الفيس بوك، وأخيرًا قررت الرد على رسالة يحيى وقالت له: "كان كلامك عن القرب من الله طوق النجاة بالنسبة ليا أنا دخلت المصحة وتلقيت العلاج اللازم ولا زلت في مرحلة العلاج، تعافيت تمامًا من المخدرات وابتعدت عن الخمور، والحمد لله ابتعدت عني فكرة الانتحار، شكرًا لك من أعماق قلبي".

حب

ذهب يحيى لعمله بعد حديثه مع سمية عن الحجاب، وفوجئ بها ترتديه بالفعل بعد مرور أسبوع على محادثتهما بشأنه، أصبحت كالملاك في ملابسها الجديدة، كان يتمنى أن يرى ردة فعل الجميع على مظهر سمية الجديد، خصوصًا هؤلاء الذين كانوا يرون فيها صيدًا سهلًا، ويتأملون مليًّا في ملامح جسدها الممشوق، ومفاتنها التي كانت تظهر أكثر مما تستر، الآن سمية لا يظهر منها سوى وجهها، وملابسها في غاية الاحتشام والذوق، أصبحت أنثى جديدة غير التي اعتاد الجميع أن يراها، كما حاولت قدر المستطاع تجنُّب الحديث مع غير الإناث في غير أمور العمل، لقد تغيرت سمية وزاد الحديث عنها في أروقة العمل.

لم يُعِرْ يحيى هذا التغيير اهتمامًا؛ لأنه يرى أنه تأخر كثيرًا، ولكنه سعد في نفسه أنه استطاع أن يهديها إلى سبيل الرشاد، تعلَّق يحيى كثيرًا بسميحة أثناء محادثتهما اليومية، حتى أنه يتساءل في نفسه عن امتناعها عن الحديث معه بعد تغير حال زوجها للأفضل، ولكنه حدَّث نفسه أنها امرأة متزوجة ويجب عليه الابتعاد عنها نهائيًّا؛ لأنها ملكٌ لرجلٍ آخر، لقد وقع في حبها وهو حب لا يجوز، ولا يجب عليه الشعور بهذه المشاعر تجاهها،

ولكنه لا يعرف ماذا يفعل؟ لقد اعتاد التحدث معها، ومنحها المشاعر الطيبة التي افتقدتها مع زوجها، ولكن ما إن أعطاها زوجها ما تفتقده ابتعدت عنه ولم تحادثه لمدة شهر كامل.

كان يتابع المنشورات على المجموعة يوميًّا منذ أن ابتعدت سميحة؛ علَّه يجد فيها أي شيء من سميحة، ولكنها لم تعلِّق أو تكتب أي منشورات منذ فترة، ولم يعلم السبب حتى وجد منشور نورا وشعر أنها مثله تمامًا، ولكنها لم تجد طريقها بعد، رد على منشورها، وأرسل لها رسائل عدة على الخاص، منها الرسالة التي غيرت حياة نورا تمامًا للأحسن، ولكنه طوال شهر تقريبًا أو أكثر لم يسمع منها شيئًا، حتى وجد رسالتها التي تشكره فيها على نصيحته التي غيرت حياتها، أراد أن يتواصل معها، وبالفعل رد على رسالتها، وبدءا يتبادلان الرسائل، حتى شعر يحيى أنه يحب نورا فعليًّا، ولكنه لم يصرِّح لها بحبه، وبدأت نورا في التعلق بيحيى، ولم تعلم سبب هذا التعلق، ولكنها احتفظت لنفسها بتلك المشاعر التي تشعر بها.

كلٌّ منهما ينتظر أن يجد الآخر متاحًا على الفيس بوك حتى يتجاذبا أطراف الحديث، حكت له نورا حكايتها وما حدث لها، وحكى لها هو حكايته، حتى اتفقا على اللقاء، واتصلت حبال الحب بينهما، وصرح لها يحيى بحبه لها، فخجلت منه نورا كثيرًا، ولكنه خجل الفتاة التي تحب، ثم طلب لقاء والدتها.

فرحت نورا بطلب يحيى، ولكنها طلبت منه الانتظار حتى تستشير طبيبها خوفًا منها أن تكون مشاعرها مختلطةً أو يكون غير مصرح لها بالارتباط في الوقت الحالي، فاستشارت د. محمد الذي شجعها على الارتباط، وطلب منها الإسراع فيه؛ لأنه يساعدها على التعافي تمامًا، ورحبت والدتها به كثيرًا.

رحبت أسرة يحيى بطلبه الارتباط، ولكنهم اعترضوا عندما علموا أن أم الفتاة مطلقة، خافوا على ولدهم من فتاة أمها مطلقة أن تكون على غير أخلاق أو أن تطلب الطلاق كما فعلت والدتها، وكأن الطلاق عيب أو أمر شائن وليس الحلال الذي أحلَّه الله، أصر يحيى على الفتاة ورضخ أهله لإصراره على زواجه بنورا ولكن على مضض، وبالفعل تمت الخطبة وبدأ يحيى الذهاب مع نورا ووالدتها للطبيب النفسي لمتابعة حالة نورا.

ووجد يحيى أن نورا تعلقت بصداقة مع فتاة اسمها نجلا، فقد وجدت نورا تشابهًا بينها وبين نجلا، رأي يحيى نجلا في زيارة نورا لعيادة دكتور محمد، وكانت نجلا فتاة مصرية خمرية اللون متوسطة الطول، وبعد انتهاء الزيارة سأل نورا عن نجلا وحكايتها فحكت له نورا قصة حياة نجلا.

رحب يحيى بصداقة نورا ونجلا لتشابُه ظروف كل منهما، ورأى أن كلًّا منهما سندٌ للأخرى، واستمرت الصداقة بينهما.

حياة جديدة

أخيرًا دخلت سميحة على مجموعة يوميات مغترب تحكي لهم ما كان من غريب، تعمَّد يحيى عدم الرد؛ حيث يحاول الابتعاد عنها تمامًا حتى يبتعد عن حبها الذي لاح له في الأفق، هو يعلم أن أي حديث معها سيحيي الحب في قلبه، وهو يريد وأد هذه المشاعر التي لا تحق له، أما سميحة فاستغربت موقف يحيى وعدم تدخُّله في أي منشور يخصها أو أي تعليق لها، إنه لا يدخل لها على الرسائل الخاصة، حاولت أن ترسل له عدة رسائل تطلب دعمه، ولكنه أبى أن يرد عليها، واستمر الوضع على ذلك المنوال عدة أشهر.

منذ أن علمت سميحة بزواج غريب من أخرى وحمل تلك الزوجة، قررت أن يكون لها حياة منفصلة عن غريب وولديها، لكنها لم تعرف من أين تبدأ؟ كانت في السابق تعول على رأي يحيى، ولكنه تخلى عنها ولا تعلم لماذا؟ ووجدت تعليقات المشاركين على منشورها ترشح لها المشاركة في الأنشطة الخيرية والمجتمعية؛ حيث إن زوجها يرفض عملها، ووجدت سميحة أن تلك المشاركة هي المرجَّحة، وكان عليها مواجهة غريب وطلب موافقته على هذا الأمر.

قررت سميحة بعد تفكير استمر شهرًا تقريبًا التحدث مع غريب وطلب موافقته على مشاركتها في الأعمال الخيرية؛ حيث كانت تهرب من التحدث مع غريب أو التواجد في أي مكان يتواجد فيه، فهي لم تغفر له خديعته لها وزواجه من أخرى سرًّا، لقد طعنها غريب في كبريائها كأنثى، وما زال جرحها ينزف، ولا تعرف كيف توقف هذا النزيف؟ ولكنها ضغطت على نفسها لمواجهة غريب بقرارها، في البداية استغرب غريب طلبها، ولكنه وافق عليه عندما شعر أن انشغال سميحة قد يهدِّئ من ثورتها عليه.

لم يعتقد غريب أن سميحة تستطيع أن تأخذ مثل هذا الموقف منه، لقد اعتاد عليها صامتةً مطيعةً لا تعترض على أي قرارٍ له، لم يفهم أنه طعنها في كبريائها كأنثى، ووجد أن موافقته ستهدئ من ثورتها التي لا يعلم سببها، لقد حاول مرارًا أن يطيِّب خاطر سميحة، ولكن بلا جدوى، حتى أنه يئس من أن تغفر له ذلك؛ لتعود حياتهما كما كانت سابقًا، لقد وجد من سميحة اشتياقًا له كزوج لها، وكانت تجعله في متعة لا تنتهي، متعة لم يجدها مع وفاء، متعة الزوجة المحبة التي تريد زوجها وليس متعة المغتصب لحقه من زوجته، لقد اشتاقها غريب، وهي ما

زالت تبتعد عنه وتنام في حجرة منفصلة، ما زالت تعاقبه على حقه كرجل في الزواج من أخرى.

أخيرًا تكلمت سميحة بعد صمت دام شهرًا كاملًا، وطلبت منه الموافقة على نشاطها الجديد، وخروجها للنادي للاشتراك في الجمعيات الخيرية التي ينظمها النادي والندوات الثقافية، ولم يجد غريب أمامه سوى الموافقة علَّ سميحة تعود له كزوجةٍ فعلية.

بدأت سميحة المشاركة في الجمعية الخيرية، وبدأت تذهب للأحياء الفقيرة لتوزيع الطعام والملابس والنقود على المحتاجين، وجدت متعةً كبيرة في مساعدة هؤلاء البؤساء، وأسعدها كثيرًا ذهابها لدور الأيتام، ومساعدة هؤلاء الأيتام الذين ساقهم حظهم العَسِر ليكونوا أيتامًا في مجتمع يحتقرهم ويَعُدُّهم آفةً لا بد من القضاء عليها، كفلت أكثر من طفل ماديًّا، وساعدتهم على دخول مدارس خاصة، وتحملت نفقاتها، وساندت هؤلاء البؤساء وهي سعيدةٌ ترى كل طفل ولدها الذي لم تلده.

كما بدأت سميحة المشاركة في الندوات الثقافية، وهناك التقت بامرأة في العقد الثالث من عمرها، لا تترك ندوةً ثقافيةً إلا حضرتها، تعرَّفت عليها، وكانت هذه السيدة هي زهرة عبد

الخالق، بالطبع لم تعرف سميحة أن زهرة الياسمين هي زهرة عبد الخالق، ولكنها أحبتها كثيرًا، خاصةً عندما عرفت ظروفها، وتقربت من زهرة كثيرًا وأحبتها؛ لتشابُه ظروف كلٍّ منهما، ودعت سميحة زهرة للاشتراك في أنشطة الجمعية الخيرية، وعلمت أن زهرة بالفعل اشتركت في الجمعية، وكانت مشاركتها بالمجهود، وخاصةً نشاط الجمعية في دور الأيتام؛ حيث قررت أن تعطي دروسًا مجانيةً للأيتام لمساعدتهم، وأصبحت كل منهما صديقةً للأخرى.

على حافة الانهيار

قرر إسلام أخيرًا أن يطلِّق زوجته التي لم يمضِ على زواجهما سوى عدة أسابيع عانى خلالها كثيرًا، إلا أنه لم يعرف هل يعاني لأنه يقارن بين زوجته والفتاة التي أحبها؟ أم يعاني لأنه كان مغصوبًا على زواجها إرضاءً لوالدته؟ لكنه لم يجد إجابة على أسئلته، وأثناء شروده وجد اتصالًا من والدته تخبره أن زوجته حبلى، نزل الخبر كالصاعقة على إسلام، لقد تغيرت كافة مخططاته، لكنه لم يعرف هل زوجته حبلى فعلًا أم تقول ذلك ليعود إليها ويرضخ لطلباتها التي لا تنتهي؟ وأجَّل قرار الطلاق حتى يتأكد من حملها، كانت العروس ترفض ذهابها للطبيب مع أيٍّ من أهل إسلام، فهي تذهب فقط مع والدتها، وتطلب منه مصاريف الدواء والطبيب، ولم يكن إسلام بالجرأة الكافية ليطلب إجازةً مبكِّرةً؛ ليتأكد بنفسه من صدق خبر الحمل، وقرر ترك الأمر للظروف.

كان ما يؤرق إسلام أن تكون زوجته حبلى، وفكَّر كيف سيربي الطفل إن تم الطلاق؟ ومن سيعتني به؟ هل ستعتني به أمه؟ وماذا لو تزوجت؟ هل ستترك رضيعها لجدته لأبيه لتربيه؟

دارت العديد والعديد من الأسئلة في خلده، ولم يجد إجابةً لأيٍّ منها غير دعائه بأن تكون زوجته تكذب، وألّا تكون حبلى.

بعد مرور شهر على معرفة إسلام بخبر حمل زوجته اتصلت به زوجته توبخه على عدم إرسال المال اللازم لها للكشف على الحمل ومتابعته، ورفضت رفضًا باتًّا أن يأتي معها أي من أهل إسلام للطبيب، وأصر إسلام على ضرورة مرافقة أهله لها لمتابعة الحمل، وأسفرت المكالمة عن حظر كل منهما للآخر على الهاتف والفيس بوك.

وبعد إنهائه الاتصال مع زوجته وحظرها على المحمول وعلى الفيس بوك، اتصل إسلام بولاء ليتحدث معها علَّه يجد لديها الحل للخروج مما هو فيه، وكتب لها على البريد الخاص "لسه قافل مع مراتي، المكالمة كانت مش كويسة بالمرة، بعد الشتايم وتبادل الاتهامات بالتقصير واللامبالاة حظرنا بعض على المحمول والفيس بوك ومش عارف أنا كده صح وألا غلط، ولغاية دلوقتي مش عارف إذا كانت حامل فعلًا وألا تمثيلية، مش عارف أفكر".

دخلت ولاء على الفور لتتحدث معه، وتبادلا الحديث، وكان رد فعل ولاء على ما حدث أن السبب الرئيس يكمن لدى

إسلام الذي رحَّب بأن يكون مجرد بنك لزوجته، ونصحته بضرورة إحضار زوجته لتعيش معه تجنبًا للمشاكل، إلا أن إسلام كان مترددًا بشأن إحضارها خوفًا من زيادة المصاريف، وضرورة بحثه عن سكن خاص به لتسكن معه زوجته.

كانت مشكلة إسلام في إحضار زوجته معه في الغربة هي الخوف من عدم قدرته على ادخار المال اللازم لكي ينشئ مشروعه الخاص في بلدته بعد فترة من الزمن، فهو كره الغربة ومشاكلها ووحدته فيها، ويريد العودة لبلدته الصغيرة ليعيش وسط عائلته من جديد، ولكن إحضار زوجته يعني تأجيل هذا الحلم إن لم يجعله من سابع المستحيلات.

وبعد مرور شهر آخر تحدَّث حمو إسلام معه على الهاتف طالبًا منه إعادة التفكير في حل الطلاق، مع وعد بتغيير في طريقة معاملة ابنته له، وإلقاء بعض اللوم عليه؛ لتركه زوجته دون مكالمة واحدة طوال تلك المدة، تسببت تلك المكالمة في إرباك حسابات إسلام بنفس قدر الراحة التي شعر بها، فهذه المكالمة أربكته؛ لأنه كان عازمًا على الطلاق فعليًّا من زوجته، وأراحته؛ لأنها أجابت عن سؤال كيف سيعيش طفله بعد انفصال والديه؟ كانت تلك المكالمة بمثابة دعوة لإسلام للتراجع عن حل الطلاق، فك

إسلام الحظر عن زوجته بعد مكالمة حميه، وحاول أن يصل إليها بشتى الطرق حتى اتصل على حميه ليستطيع أن يتحدث مع زوجته التي رفضت تمامًا الحديث معه، ولم يفهم سبب ذلك.

وكالعادة لجأ إلى ولاء التي نصحته بإعادة المحاولة مع زوجته مرة أخرى؛ لأن مكالمة حميه تعني رغبتهم في استمرار الزواج خوفًا على ابنتهم التي لن تستطيع الزواج مرةً أخرى وهي تعول طفلًا صغيرًا، ولن تستطيع أن تترك وليدها لغيرها لتربيته.

شائعات

تعرفت زهرة على د. محمد الذي كان مواظبًا على حضور كافة الندوات الثقافية، حيث انتهز وجود زهرة وحدها دون سميحة في إحدى هذه الندوات ليتحدث معها، لقد كان يراقب زهرة من بعيد، حتى تحيَّن فرصة حضور زهرة وحدها إحدى الندوات، وكان الحديث منصبًّا على مناقشة رواية قواعد العشق الأربعون، وتوطدت العلاقة بين محمد وزهرة وأصبحا يلتقيان يوميًّا في النادي، أحيانًا في وجود سميحة، وأحيانًا أخرى دون وجودها حتى اختفى محمد فجأةً دون أي مقدمات، وهي لا تعرف أي وسيلة للاتصال به.

خلال فترة اختفاء محمد ظهرت بعض الشائعات حول طلاق زهرة وعلاقة آثمة تربطها بمحمد، ربطت زهرة بين ذلك وبين معرفة محمد بكل شيء عنها، أيعقل أن يكون هو مَنْ وشى بطلاقها وافتعل شائعات علاقته بها؟ لماذا اختفى في ذلك التوقيت تحديدًا؟ جالت بخاطرها العديد من الأسئلة التي لم تجد لها إجابة.

لم تعرف زهرة أن ندى زوجة عادل طليقها هي السبب في نشر الشائعات حولها، فرحت ندى كثيرًا لنشرها الشائعات حول

زهرة وتشويه سمعتها، كانت هذه الطريقة هي سبيلها لإبعاد عادل عن زهرة وجعله يكرهها.

لم يصدق عادل حرفًا مما سمعه عن زهرة في النادي، ولكنه لم يخطر له أبدًا أن ندى هي مصدر هذه الشائعة حول زهرة؛ فهو يعرف زهرة جيدًا، إنها متدينة وتخاف ربها، ولا تفعل ما يعصيه، لذا كان متأكدًا أن هناك خطبًا ما، وحاول البحث لمعرفة مصدر الشائعة، ولكن ككل الشائعات عندما تنطلق لا تعرف أبدًا مصدرها.

حاول عادل التقدم مرة أخرى للزواج من زهرة؛ لكي يبعد عنها كل الشبهات التي تدور حولها، وعندما أبلغ عادل زوجته بما يفكر فيه رفضت الفكرة بشدة، رفضت أن يتزوج أخرى لأي سببٍ كان، بل هددته بأنه إذا تزوج فلن يرى ابنه محمد أبدًا.

كم كانت ندى قاسية! لم يعرف عادل هل كانت كذلك؟ أم أنه هو من فعل ذلك بها لكثرة كلامه عن زهرة؟ هل تسبَّب- دون قصد منه- في جعلها تشعر بالغيرة من زهرة؟ كانت كلها أسئلة تجول بخاطر عادل، أخرجه منها صوت بكاء محمد.

وعلى قدر دهشة عادل من موقف ندى من زواجه، كانت دهشته من قوة زهرة وصلابتها تجاه هذه المشكلة، لقد توقع أن تنهار وتبتعد عن النادي والناس، إلا أن تصرفها كان صدمةً لكل

من عادل وندى، لقد ذهبت زهرة إلى النادي كما اعتادت أن تفعل ولم تغيِّر في روتينها اليومي شيئًا.

كانت ندى تتوقع أن تترك زهرة النادي وتبتعد عن الأنظار، فهي تعرف جيدًا أن الشائعات حول سمعة أي امرأة هي أول أسباب انهيارها؛ لذا كانت ندى تتوقع أن يكون رد فعل زهرة التلقائي هو أن تبتعد عن أي مصدر للشائعات الخبيثة تلك، لكن ذلك لم يحدث!

وكعادة كل الشائعات ماتت دون أن تعيرها زهرة أدنى اهتمام ظاهريًّا، كانت زهرة صلبة أمام الناس، ولكنها في داخلها كانت تموت في كل لحظة ألف مرة، كانت تذهب للنادي وهي تتمنى ألا تذهب، ولكن لا بد لها من المواجهة لجعل الشائعة تندثر، وكما توقعت، لم تستمر الشائعة سوى بضعة أيام.

رفضت زهرة طلب عادل الزواج منها، فهي - رغم تألمها مما قيل عنها- كانت تعلم أنها إذا تسرعت في قرار الزواج فسوف تدمر حياتها، كما أنها تحب د. محمد؛ فقد أصبح د. محمد حياتها، تحبه بشدة ولكنها لم تصرِّح له حتى الآن بحبها له، تنتظر ككل فتاة اللحظة التي يأتي لها فارس أحلامها ويقول لها الكلمة السحرية: "أحبك، هل تقبلين الزواج مني؟".

أدركت زهرة حبها لمحمد عندما اختفى فترةً طويلةً، مع ظهور الشائعات، ولكنها عملت بنصيحة سميحة وحاولت الوصول لأي طريقة للاتصال بمحمد؛ لتعرف إن كان هو مصدر الشائعة أم لا، حتى توصلت لصديق له معهم في النادي أعطاها رقم محمد، وعندما اتصلت به وجدته في المستشفى مصابًا بكسر في قدمه، ولا يدري شيئًا عما قيل عن علاقته بها، ولم تقل له زهرة شيئًا عما قيل عنهما؛ خافت أن يظن فيها السوء، أو أن يعتقد أنها ترغمه على الزواج منها.

زهرة: السلام عليكم، د. محمد معايا؟

محمد: وعليكم السلام، أيوه أنا محمد، مين حضرتك؟

زهرة: أنا زهرة، فاكرني!

محمد: أيوة يا زهرة، إزيك؟ عاملة إيه؟ معلش أصل دي أول مرة نتكلم فيها على الموبايل.

زهرة: فعلًا أول مرة نتكلم موبايل، بس لقيتك اختفيت مرة واحدة، شوفت مدحت صاحبك إداني رقمك عشان لو حبيت أكلمك في أي وقت، بس صوتك بيفكرني بحد أعرفه.

محمد: بجد والله؟ ده شرف ليا.

زهرة: إيه؟ إنت مختفي ليه؟

محمد: واضح إنك ما تعرفيش، أنا في المستشفى بقالي أكتر من أسبوعين.

زهرة وهي تصطنع عدم المعرفة: خير! مالك؟

محمد: مفيش يا ستي، بعد ما كنا مع بعض آخر مرة وأنا رايح العربية أركب مخدتش بالي إن في حفرة، وقعت ورجلي اتكسرت ومتجبِّس في المستشفى.

زهرة: كسر بس وألا حاجة تانية؟ لو كسر كان المفروض تخرج وترجع على ميعاد فك الجبس.

محمد: لا، كسر بس، أنا لوحدي والمستشفى خاص والدكتور صاحبي وعارف إن مفيش حد يخدمني أو يقعد معايا، وافق إني أفضل في المستشفى لغاية ما أفك الجبس وأقدر أتحرك، محمد بمزاح يعني مصلحة ليه طبعًا وللمستشفى، أصلي مريض لُقطة.

زهرة: آسفة إني اتأخرت في السؤال عنك، أنا كمان كلمتك وأنا محرجة جدًّا.

محمد مستغربًا: محرجة ليه؟ عادي إنك تكلميني، وكاد يقول شيئًا آخر ولكنه تراجع عنه.

زهرة: كنت بتقول إيه؟

محمد متلعثمًا: لا أبدًا مفيش.

زهرة: طيب عايزة اسم المستشفى ورقم الأوضة.

بعد أن تأكدت زهرة من براءة محمد مما قيل عنهما، زارته في المستشفى، وأصبح مرورها عليه بصفة يومية، تحضر له خلالها الكتب التي يقرأها، وتُمضي معه بعض الوقت، ثم تذهب للنادي ودروسها ولقاء سميحة، وبعد أن تحدثت زهرة مع محمد لأول مرة من خلال الهاتف المحمول، لاحظت أن صوته يشبه صوت ساقي الورد، حتى أسلوبه في الحوار وانتقاء الكلمات، علمت أنه هو ساقي الورد ولكنها لم تُرِد أن تصارحه بذلك، أرادت أن تعرف ماذا ينوي؟ وهل يريد بها سوءًا أم أنه يريدها أن تكتشف ذلك بنفسها؟ لذا لمَّحت له أن صوته يشبه صوت أحد تعرفه، لم تكن إجابته بالنفي أو الإثبات؛ لذا لم تفتح زهرة معه ذلك الموضوع وهو في المستشفى.

لقد تذكرت أيضًا أن ساقي الورد اختفى منذ دخول محمد المستشفى، وهذا يؤكد ظنها أن ساقي الورد ومحمد شخص واحد، أرادت زهرة أن تؤكد لنفسها أن محمد هو ساقي الورد، لذا أرسلت لساقي الورد على الفيس رسالة تعاتبه فيها على اختفائه المفاجئ، وهي تعلم أنه لن يكون موجودًا.

كان محمد يستخدم أثناء حديثه معها على برامج المحادثة بعض الخلفيات الصوتية التي تغيِّر في الصوت بعض الشيء، لم يكن يود أن تعرف زهرة حقيقته منذ البداية.

كانت هذه الشائعات هي ما جعل زهرة على حافة الانهيار، وهي ذاتها من أعطتها قوة المواجهة ورفض زواج قد يدمر حياتها للأبد، وعرفت منها أيضًا كم تحب محمد وتشتاق إليه! وتنتظر اعترافه لها بأنه ساقي الورد.

وصال

بدأ حب زهرة يتسلل لقلب محمد رويدًا رويدًا حتى أصبح يملأ عليه حياته، كانت الندوة التي عقدها النادي عن رواية "قواعد العشق" سبب تعرُّفهما، لقد أحبت أن تشاركه آراءها حول الرواية، وتحدثا سويًّا عن الرواية، وما كان يستطيع أن يرفض الحديث معها، كيف يرفض أن يتحدث معها وقلبه يرقص فرحًا عندما يرى طيفها؟ كيف يرفض أن يتكلم معها في أول مرة يكون لقاؤهما مباشرًا؟! كم أحبها! وكم شعر بالذنب لذلك الحب!

عندما توالت لقاءاته مع زهرة، كان يشعر أنها تتوغل داخل نفسه دون أن يشعر، كم أراد أن يقول لها: إنه ساقي الورد، ولكنه كان يتراجع في كل مرة، عندما كلمته زهرة في المحمول شعر بلهفة صوتها عليه، ولأول مرة وجد عينيها تلمع بحبه عندما ذهبت له في المستشفى، كان سيعترف بحبه لها في الهاتف، ولكنه قرر أن يؤجل هذا الاعتراف قليلًا، لم يعرف ماذا يقول عندما لاحظت زهرة أن صوته مثل صوت ساقي الورد، ومنذ أن كُسِرت ساقه، لم يستخدم الإنترنت لقد كان الألم والأدوية سببًا في كثرة نومه في الأيام الأولى من الكسر، بعدها كان تأنيب الضمير لحبها

الذي أصبح يسري في دمه، إلى أن وجد اتصالها فلم يعرف كيف يتحدث معها؟ كيف يقول لها: إنه ساقي الورد؟ وإنه يحبها؟ وكيف يتلافى خجلها وغضبها؛ لأنها اعترفت بحبها له قبل أن يفعل هو ذلك؟ لذا قرر أن ساقي الورد لا بد أن يختفي فترةً من الزمن؛ حتى يصارحها بحبه، ثم يعترف لها بأنه ساقي الورد.

كان تفكيرها في محمد يطغى عليها، ويشغل تفكيرها، أصبحت صورته مطبوعةً على كل شيء تراه، في الكتب والروايات، وتأكدت زهرة أن لها قلبًا يحب ويهوى مثل باقي البشر، لقد تأكدت من حبها له، ولكنها تحبس هذا الحب داخلها، فزهرة - رغم حبها لمحمد - يمنعها كبرياؤها أن تصرِّح له بهذا الحب، إلى جانب أنها تعرف مدى وفائه وإخلاصه لزوجته السابقة.

كانت نظرات زهرة تفضحها أمام محمد، كان يشعر هو الآخر بشيء ما في قلبه يتحرك تجاه زهرة، كان قلبه يتحرك نحوها، ولكن شعوره بالذنب تجاه حبيبته السابقة كان حائلًا بينهما، كان يشعر بحب زهرة له، وعلم أنها تحبه عندما كانت تتحدث معه بوصفه ساقي الورد.

لقد صرَّحت زهرة بكل مشاعرها تجاه محمد في حديثها مع ساقي الورد، الذي لم تتأكد زهرة حتى الآن أنه هو محمد، ولا يدري محمد لِمَ لم يخبرها منذ البداية أنه ساقي الورد.

مرت فترة وجود محمد في المستشفى وهو يعلم أن زهرة عرفت هويته، وهي تعلم من هو؛ لذا أراد محمد أن يوفر عليها عناء الكلام، خرج محمد من المستشفى وذهب للنادي كما اعتاد، ووجد زهرة هناك.

محمد: زهرة، أنا عايز أقول لك حاجة.

زهرة: عارفة.

محمد: إيه؟

زهرة: إنت ساقي الورد.

محمد: هو فعلًا أنا ساقي الورد، بس مش ده اللي عايز أقولك عليه.

زهرة مقاطعة: عايز تقول إيه؟

محمد: أنا بحبك، وعايز أتجوزك.

زهرة بكل ثقة: بص يا محمد، أنا كمان بحبك وإنت عارف ده، بس أنا محتاجة وقت أقدر أعدي فيه تجربة غيَّرت حياتي كلها إنت كمان عارفها.

محمد: عارف يا زهرة، وعايز أقول لك: إني بحبك من زمان قوي، من قبل ما تتطلقي، أنا كلمتك وأنا عارف إنتِ مين من الأول، إنتِ غيرتي حياتي يا زهرة بعد ما كنت فاكر إني عمري ما

هحب واحدة تانية بعد المرحومة، حبيتك من ساعة لمَّا شوفتك في النادي، كنت بشوفك كل يوم وإنتِ لوحدك، مكنتش عارف إنتِ مين ولا عارف إنك متجوزة، دوَّرت، وزعلت لما عرفت إنك متجوزة، ووصلت للإيميل بتاعك وعرفت اسمك، محاولتش أكلمك؛ لأني عارف إنك كنتِ على ذمة واحد تاني، حسيت بألمك معاه واتضايقت عشانك، كنت بتقطَّع وأنا نفسي كل يوم أقول لك: بحبك، ومش قادر أقولها، حتى بعد طلاقك، خفت تفتكري إني بستغلك يا زهرة، بحب كل حاجة فيكِ، بحبك وكلمة بحبك مش كفاية عليكِ.

فوجئت زهرة بكلام محمد، لم تكن تتوقع أن يحبها شخص ويفعل كل ذلك من أجلها، دمعت عيناها فرحًا، فأكمل محمد

- زهرة، ممكن أقابل معاكِ الدكتورة اللي بتعالجك؟

زهرة: ممكن طبعًا.

محمد: إنتِ أجمل ست وأجمل زهرة عرفتها.

لم تكن زهرة تتوقع من محمد كل ذلك، وكان كل ما يشغلها هو كيف تحب دون أن تتأذى كما حدث معها من قبل، كيف تحب دون أن تُجرَح مرة أخرى، أرادت زهرة أن تترك نفسها لتحب وتجد الحب الذي حُرِمت منه ولم تشعر به قبلًا.

ما أجمل الحياة التي تجدها زهرة الآن! أصبحت تحب الحياة وترى الأشياء بشكل مختلف تمامًا، ولكنها كانت تخشى أن يُصدَم محمد مما سمعه عنها من شائعات، أو أن يصدق ما قيل عنها.

أما محمد فقد تضايق لمّا علم ما تحملته زهرة من كلام يسيء إليها وإلى سمعتها، ولكنه توقَّع أن يكون مصدر الكلام زوجة عادل، كان اهتمام محمد بزهرة كبيرًا جدًّا، علم عنها كل شيء حتى زوجة عادل عرفها دون أن يكلمها، وكان يتابع عادل ويتابعها، لذا عندما سمع الشائعات ووصلت له عرف مصدرها، إنه يرى الحقد في عينَيْ زوجة عادل على زهرة، إنها غيرة الأنثى، ولكن ما كان يجعله يشعر بالحيرة نظرات عادل عندما يرى زهرة ويتكلم معها.

كانت نظرات عادل لزهرة نظرات تتراوح بين الندم والحب والاشتياق، ولكن لم يكن يعلم إن كانت زهرة تشعر بذلك أم لا، ولكنه تأكد أن عادل ما زال يحب زهرة بسبب غيرة ندى من زهرة.

كان محمد متأكدًا من حب زهرة له، إنها ذات النظرات المليئة بالفرحة وتلك اللمعة في عيونها، هي ذاتها التي كان يراها في عيون حبيبته، نظرات الحب والشوق، لم يُرِد محمد أن يضغط على زهرة في طلب الزواج والإسراع به رغم شدة اشتياقه لها، ورغبته في أن يجمعهما بيت واحد، أراد أيضًا أن يعرف ما هي حقيقة مشكلة زهرة، وكانت طبيبة زهرة النفسية هي الوحيدة التي يمكنها الإجابة على أسئلة محمد.

غريبة بلا وطن

بعد مضي شهر واحد على وعد غريب لوفاء بالانتقال لفيلا جديدةٍ خاصةٍ بها، أوفى غريب بوعده وذهبت وفاء للفيلا، تتكون الفيلا من الدور الأرضي؛ وهو غرفة للسفرة، وأخرى لاستقبال الضيوف، ومكتب لغريب، ومكتبة للكتب التي تحبها وفاء، وغرفة مكتب لوفاء بها مكتب وجهاز حاسب آلي متصل بالإنترنت، وغرفة نوم للضيوف، الدور التالي؛ ويتكون من غرفة نوم لوفاء وغريب، وغرفة للمعيشة، وغرف نوم لوالدَيْ غريب.

قسَّم غريب الأسبوع بين وفاء وسميحة، كانت تلك النقلة في حياة وفاء غريبةً عليها، ولكنها أثارت العديد من الأسئلة في عقلها؛ ماذا لو كانت عاقرًا؟ هل كان غريب ليعلن زواجهما أم كان سيتزوج أخرى عليها؟ هل كانت في السابق أقل من أن تتساوي مع سميحة في المعيشة؟ وكالعادة كانت أسئلة بلا إجابة، أو أسئلة كانت تعلم إجابتها ولكنها تتغاضى عنها.

كان ممدوح يبيت معها أثناء غياب غريب عنها لمبيته في بيته الآخر، عندما كثرت الأسئلة التي بلا إجابة في خاطر وفاء دخلت بحسابها على الفيس بوك "غريبة بلا وطن" لمطالعة المنشورات

على الصفحة ومعرفة الجديد على الصفحة، وجدت زهرة ومحمد يعلنان خطبتهما وتوالت التهاني بالخطبة، كما وجدت مغتربة تعلن تمردها على زوجها وبداية حياة جديدة لها تفرض بها واقعًا جديدًا على واقعها، وتشكو عدم قدرتها على الانفصال عن زوجها بسبب عائلتها، ورفضهم كلمة الطلاق، وترحيبهم بزواج زوجها بأخرى.

بدأت وفاء تشك في أن تكون مغتربة هي زوجة غريب؛ لأن الأحداث لدى كل منهما مشتركة، فعندما أعلن غريب زواجه منها كانت مغتربة تنعي حظها وتصرخ لجرح كبريائها على الجروب؛ لذا آثرت وفاء عدم التحدث بما يكشفها لدى مغتربة، ولكنها كانت تريد أن تصرخ بحالها ولأول مرة تقول لهم: إنها تحب زوجها كوالد لها لفارق السن بينهما، ولكنها تكرهه كزوج لها، صرخت بكل ما أوتيت من قوة على الجروب أنها تكره نفسها لحملها ممن تشعر أنه والدها، وأنها تشعر أن هذا الحمل خطيئةٌ كبرى، دخل العديد من المشاركين في الجروب ليعلق على منشورها، ولكن شدها أكثر تعليق مغتربة لها:

"كوني قوية، واعترفي لنفسك أن زوجك هو زوجك وليس والدك، وحملك منه حمل شرعي، ولكن جِدِي لنفسك حياةً

جديدةً.. حياةً تجعلك قويةً وصامدة، لا أمان لرجل أيًّا كان، ومن تزوَّجك على زوجة قادر أن يتزوج عليكِ أخرى لو لم يجد فيكِ الزوجة التي يريدها، لا تعتمدي على حملك كثيرًا".

وتعليق آخر من ساقي الورد:

"يا غريبة بلا وطن، عليكِ الذهاب لطبيب نفسي بسرعة حتى تستطيعي أن تكملي حياتك بشكل صحيح".

لم تعرف ماذا تفعل؟ وكيف تجد لنفسها حياةً جديدةً تشجعها على المضي قدمًا في حياتها؟ وتذكرت أن غريب اشترك لها في نادٍ كبير، فقررت الذهاب للنادي والتعرف على أنشطة النادي والمشاركة فيها، إلا أن غريب لم يسمح لها إلا بحضور الندوات الثقافية حفاظًا على حملها، حتى يحين موعد ولادتها، وهناك تعرفت على زهرة عبد الخالق دون أن تعرف أنها زهرة الياسمين، وكانت الصدمة عندما تعرفت على سميحة في النادي؛ حيث كانت كل من سميحة وزهرة معًا معظم الوقت، وكانت صدمتها عندما رأت سميحة وتعرفت كل منهما على الأخرى، لم تعرف وفاء كيف تتصرف إلا أن سميحة كانت ناضجةً بما فيه الكفاية لتعرف أن وفاء لا ذنب لها في قرار غريب بالزواج منها؛ فسميحة تعرف غريب جيدًا وتعرف أن لا أحد يستطيع خداعه أو

السيطرة عليه؛ لذا وفرت العناء على وفاء، وقالت:

- عارفة إنك ملكيش ذنب في جوازك من غريب، غريب محدش يقدر يضحك عليه.

- أنا آسفة يا مدام سميحة إني كنت سبب في جرحك، بس أنا لمَّا وافقت على غريب وافقت لأنه بيفكرني بوالدي الله يرحمه.

- بس حملك بيقول غير كده.

- أنا فعلًا بعتبره زي والدي، وربنا عالم.

- عمومًا، أنا اتشرفت بمعرفتك يا مدام وفاء.

كانت صدمة وفاء من البرود الذي وجدته من ناحية سميحة، كانت تعتقد أن تنهرها سميحة أو تتسبب في فضيحة في النادي، ولكن العقل والنضوج الذي وجدته في سميحة جعلها تفكر كثيرًا كيف تصل امرأة لتلك الدرجة من العقل؟ أجاب لها على ذلك السؤال حال زهرة التي يعلم الجميع طلاقها من زوجها لزواجه بأخرى رغم أنها تلتقي أحيانًا بضرتها، وتتعامل بمنتهى البرود دون أي عصبية أو انهيار.

لم تتمالك وفاء نفسها ووجدت نفسها تهاتف غريب وتطلب لقاءه، وعندما وصل غريب سألته لماذا تزوجها؟ كانت إجابة غريب غير مقنعة عندما أخبرها أنه تزوجها؛ لأنه أحبها، هي تشعر أنه تزوجها لكي تنجب له، وأخبرته أنها التقت سميحة وأنهما

تحدثا سويًّا، استغرب غريب من الموقف؛ فهو لم يتوقع أن تلتقيا، فهو لم يخبر سميحة باسم زوجته ولم يُرِد ذلك حفاظًا على كبرياء الزوجتين، ولكن اللقاء قد تم فعليًّا، في قرارة نفسه، فرح غريب بالنضوج الذي أبدته سميحة في لقائها بضرتها وعدم افتعال المشاكل، وتمنى لو تسامحه سميحة على زواجه الثاني.

تعجبت سميحة من البرود الذي قابلت به معرفتها بضرتها، وأشادت زهرة بالنضوج الذي أظهرته سميحة، وقالت لها: إنها لم تتوقع ذلك الهدوء، واقتنعت سميحة بأنها بالفعل أصبحت سميحة أخرى بعد تجديد حياتها.

انتظر محمد مجيء عم زهرة، وطلبها منه رسميًّا، وتحدَّد موعد الزفاف بعد شهر حتى يتسنى لعمها حضور عقد قرانها وزواجها من محمد.

اتصلت وفاء بعيادة محمد عدنان الطبيب المعالج لها، وحددت موعدًا للجلسة، وبالفعل جاء موعد جلستها، وانهارت وفاء، فهي لم تتمالك نفسها عندما تعرفت على ضرتها، وأصبحت تكره زوجها كلما كبر بطنها بحملها، إنها تكره ابنها الذي لم تره؛ لأنه جاء من خطيئةٍ من وجهة نظرها، حاول محمد معها خلال الجلسات أن يجعلها تتقبل زواجها من غريب وتتقبله كزوج لها، كانت وفاء تحلم بفارس أحلامها الذي يخطفها على

حصانه ويكون شابًّا مثلها، ما زالت تلوم نفسها على قبولها الزواج من غريب بوصفه أبًا لها، ولم تعرف كيف تواجه حقيقة أنه زوجها لا والدها.

كانت وفاء تتابع منشورات مغتربة لتعرف تأثير لقائهما معًا، واستغربت أن مغتربة قالت: إنها شعرت بالأسى تجاه ضرتها لما وجدته من حزن في عينيها، لم ترد وفاء على المنشور خوفًا من كشف هويتها على الجروب خاصةً لسميحة، تعجبت وفاء لما شعرت به سميحة، لقد شعرت سميحة بوفاء فعلًا دون أن تتحدث وفاء، وقررت وفاء عدم الذهاب للنادي مرةً أخرى، وطلبت من غريب الاشتراك في نادٍ آخر حتى لا تشعر بالحرج كلما قابلت سميحة، وانصاع غريب لرغبتها.

ظلت وفاء تواظب على علاجها حتى تتقبل غريب بوصفه زوجًا، وبدأت الجلسات العلاجية تؤتي ثمارها، بدأت تحب جنينها الذي ينمو في أحشائها، وبدأت تتقبل غريب وتتقبل طلبه لها كزوجة، تنازلت عن حلمها بشابٍّ من سنها، وامتثلت للأمر الواقع.

ذهب غريب لبيته الأول، والتقى بسميحة، وطلب منها الصفح عن زواجه من أخرى لرغبته في المزيد من الأطفال، وأخيرًا شعرت سميحة بالتصالح مع نفسها عندما رأت الزوجة

الثانية، وشعرت بالمعاناة التي تظهر من عينيها، صفحت سميحة عن غريب، وتقبلت الأمر الواقع، وتقبلت الواقع الجديد الذي فرضته لنفسها، وأخيرًا عادت لغرفة غريب، ونهل غريب من عسلها.

مرَّت الشهور، وجاء موعد مخاض وفاء، في تلك الفترة كانت قد تقبلت غريب بوصفه زوجًا لها، وتقبلت ابنها بكل حب، وكانت تنتظر خروجه للنور، وجاء مخاض وفاء وولدت ذكرًا، وأخيرًا التقت عائلة غريب بما فيهم سميحة التي هنأتها بمولودها، ودعت لها بأن يحفظه الله وأن يبارك لها فيه، فرح غريب بولده وسماه مصطفى، كانت فرحة غريب لا توصف بابنه الجديد، الآن لديه ثلاثة ذكور، الآن يكتمل حلمه بإمبراطورية السمنودي.

قررت وفاء بعد وضعها ولدها أن تكشف عن شخصيتها أمام مغتربة، لتعرف كل منهما الأخرى، ودخلت على جروب يوميات مغترب أثناء نوم وليدها وكتبت: "رُزِقت بولدي مصطفى منذ أيام قليلة، أخيرًا جربت شعور أن أكون أمًّا، يا له من شعور جميل ورائع! ولكن ما أسعدني حقًّا حضور ضرتي لتهنئتي على ولادتي، لم أتوقع أن تكون بمثل هذه الأخلاق، لا ريب أن زوجي يحبها وأنها تحبه، وإلا لماذا ظلت على ذمته رغم علمها بزواجه مني وحملي منه؟ لقد التقيت بها في النادي، وأدهشني كثيرًا

عقلها، ولكني لم أكن بمثل قوتها، كنت أشعر بالخزي كلما رأيتها؛ لأني تزوجت من زوجها، وهي أفضل مني في كل شيء؛ فهي من عائلة زوجي ذات الحسب والنسب، أما أنا فعائلتي متوسطة الحال، أشكرها كثيرًا من كل قلبي لما أبدته من تفهُّم لظروفي". بعد ضغط وفاء على زر نشر، كانت تعلم أن سميحة بالذكاء الكافي لتعرف أنها ضرتها، وحدث ما توقعته وفاء وفهمت سميحة أن وفاء تعرفت عليها، فدخلت لها على البريد الخاص، وكتبت لها: "عزيزتي وفاء... لا تشعري بالخزي، فغريب لا يستطيع بشر أن يخدعه أو يجعله يفعل ما لا يريد، أنتِ تزوجتِهِ على سنة الله ورسوله، ولا أملك لك غير الدعاء بالتوفيق، وأن تعتادي غريب كزوج لك وليس والدًا، على فكرة، لقد علمت أنك ضرتي من فترة، ولكن لم أُرِد أن أتسبب لك في إحراج، يمكنك المجيء للنادي والمشاركة في كافة الأنشطة حتى التي أشارك فيها، فلا ذنب لكِ فيما أنا فيه".

لم تصدق وفاء الكلمات التي قرأتها توًّا من سميحة، الآن أصبحت كلٌّ منهما تعرف الأخرى، بل شعرت وفاء أن سميحة أخت كبرى لها، فردَّت على رسالتها بطلبها أن تصبح سميحة أختًا كبرى لها، وألا تخبر غريب بما صرَّحت به على الجروب،

طمأنتها سميحة بكتمان ما صرَّحت به وفاء على الجروب، ولكنها اعتذرت منها أن تكون أختًا لها.

أخيرًا وجد ممدوح مَنْ تصلح زوجةً له، تعرف عليها وهو ينهي بعض الإجراءات في الضرائب، كانت فتاة أحلامه، شعر بذلك عندما رآها من أول لحظة، كانت محجبةً وحجابها لا ملاحظات عليه، التقيا في مكتب مأمور الضرائب، عرف اسمها عندما عرَّفت نفسها لمأمور الضرائب، اسمها سمية وتعمل في إدارة المحاسبة في إحدى الشركات الكبرى، حفظ ممدوح اسم الشركة جيدًا كي يسأل عنها هناك، وذهب ليخبر أخته أنه أخيرًا وجد فتاة أحلامه، فرحت وفاء كثيرًا بذلك الخبر، وطلبت منه سرعة السؤال عنها للارتباط بها.

سأل ممدوح عنها في الشركة التي تعمل بها، قابل هناك يحيى وسأله عن موظفة تدعى سمية، سأله يحيى عن سبب السؤال عنها، واستغرب ممدوح ذلك واعتقد أن يحيى مرتبط بها، وأزاح عن عقله هذا الخاطر عندما وجد دبلة خطوبة في يد يحيى، فقال له: إنه يسأل عنها؛ لأنه يريد الارتباط بها، أشاد يحيى بأخلاق سمية، وأنها فتاة أحلام أي شاب، سأل عنها بعض السيدات وأشدن بأخلاقها، لم يجد ممدوح بدًّا من الكلام المباشر مع

سمية؛ لذا سأل عنها وعرف مكتبها، وقال: إنه قريب لها، ودخل مكتب سمية وقال لها دون مقدمات: "أستاذة سمية، أنا ممدوح وجاي عشان أعرف عنوانك وأتقدم رسمي لو حضرتك مش مرتبطة". كانت كلمات ممدوح غريبة بالنسبة إليها، فهي لم تتوقع أن يكون هناك أشخاصٌ مثله، فقد دخل البيت من بابه، ولم يطلب لقاءها خارج مكان العمل، بل طلب لقاء والديها.

كانت مشكلة سمية أن والديها في الكويت، أخبرته أن والديها في الكويت وأن موعد الإجازة السنوية لهما بعد شهر من الآن، وأعطته العنوان، ولم تخبر أيًّا من أهلها بما حدث منتظرةً أن ترى هل هو صادق بالفعل أم أنه أراد أن يدخل في علاقة حب دون التزام، تكلمت مع يحيى فيما حدث وأخبرها يحيى أنه قابل ممدوح الذي سأل عنها، وأنه – يحيى- أثنى عليها، وقال لها: إنه يشعر بصدق هذا الشاب ورغبته الجادة في الارتباط.

مر الشهر بالفعل، وحضر ممدوح للشركة مرةً أخرى يطلب لقاء سمية لكي يحدد موعدًا للقاء والديها، وحددت له الموعد للقاء والديها، أخبر ممدوح غريب برغبته بالزواج من سمية، وطلب حضوره مع وفاء ليتشرف به أمام أهل سمية، ووافق غريب على ذلك فهو يَعُدُّ ممدوح أخًا أصغر له منذ تزوج أخته.

وافق والد سمية على زواجها من ممدوح على أن يتم الزواج خلال شهر، كي يحضر والداها زواجها، وبالفعل تم الزواج خلال الشهر، حيث ساعد غريب ممدوح في تأسيس منزل الزوجية، وتزوج ممدوح ممن يحبها ويهواها قلبه.

فرحت وفاء أخيرًا بزواج أخيها من سمية، وشاركت خبر زواج أخيها على جروب يوميات مغترب، وتوالت التهاني عليها والدعوات بالرفاء والبنين، شاركتهم فرحتها بمساهمة زوجها في زواج أخيها؛ فهي لم تتخيل أن يكون زوجها بهذا الكرم وأنه يحبها وأخاها فعلًا، وجاءت التعليقات على منشور وفاء بالمباركة لها؛ لأنها لأول مرة تذكر كلمة زوجي، وأن تتحدث عنه بهذه الطريقة الإيجابية، وكان ردها شكرًا للطبيب المعالج لها الذي ساعدها على تجاوز محنتها، ولكنها لم تكن تعرف أن طبيبها المعالج معها في المجموعة، وأن اسمه ساقي الورد.

صراحة

جروب يوميات مغترب..

في الجروب اقترح إسلام أن يلعبوا معًا لعبة الصراحة، ووافق بعض الأعضاء منهم "غريبة بلا وطن" و"مغتربة" و "ساقي الورد" و"زهرة الياسمين" و"مغترب ولكن" و"نورا"، وبدأ إسلام بنفسه يطلب من أحد الأعضاء سؤاله سؤالًا يتطلب الصراحة، وبدأت اللعبة..

يحيى: "إسلام"، إنت اتجوزت ومش طايق مراتك، ممكن تقولنا اتجوزتها ليه؟

إسلام: أنا كان لازم أتجوز عشان أريَّح أمي، حبيت واحدة وخطبتها، بس أمي فركشت الموضوع، وأنا هنا مسافر ومتغرب وبهدلت خطيبتي وأهلها، ومكنتش بالشجاعة الكافية إني أدافع عن حبي، واكتشفت إن الغربة علمتني الجبن والخوف، مع إحساس إن الغربة بقى وَحش بينهش فيَّا، وأمي شافت واحدة جديدة وقالت لي: هي دي، بصراحة وافقت من غير حتى ما أعرف اسمها أو أشوف صورتها، عارف إني ظلمتها، خصوصًا وهي حامل في ابني، واحنا مش طايقين بعض، وقررت قرار نهائي إني أبطَّل أقارن بينها وبين حبيبتي؛ لأن مش ذنبها إني جبان

ومقدرتش أحافظ على الإنسانة اللي حبيتها، وقررت كمان إنها تيجي تعيش معايا هنا عشان مبقاش بالنسبة لها مجرد بنك فلوس، هتيجي تعيش معايا على الحلوة والمرة وطظ في الفلوس، المهم إن ابني يبقى جنبي ويتربى بين أبوه وأمه، ودعواتكم إني أكون فعلًا على قدر المسئولية، وأقدر أجيب مراتي فعلًا، ومتبقاش مجرد فكرة في وقت حماس وأرجع تاني لدوامة الخوف والجبن من إني آخد الخطوة دي، دوري في السؤال، سؤالي موجَّه لـ "زهرة الياسمين": إنتِ مين؟

زهرة الياسمين: أنا إنسانة عادية جدًّا، كنت خجولة حتى مع زوجي، وعمري ماقلت لحد لأ، حتى لو كان ده على حساب نفسي، وفضلت أتنازل كتير، وفاكرة إني كده بحافظ على بيتي اللي عمري ما حسيت إنه بيتي، زوج عمره ما اهتم إنه يشعر بيّا، فرض عليّا عدم الخلفة من أول أسبوع جواز، ووافقت رغم إحساسي بالغبن في ده، ومع ذلك وافقت، اتجرحت لمَّا عرفت إنه اتجوز عليا وطلبت الطلاق، انهرت شوية بعد الطلاق لغاية لمَّا عرفت أقف على رجلي مرة تانية، وحبيت المرة دي واتخطبت وزفافي بعد كام يوم، خلاص مبقيتش مغتربة، مع محمد أنا حاسة إني مالكة الدنيا وما فيها، ضاع إحساس الغربة والدنيا بقت جميلة فعلًا، ودلوقتي سؤالي لـ "غريبة بلا وطن"، إيه اللي غيَّرك كده ناحية زوجك وابنك؟

غريبة بلا وطن: أنا والدي اتوفى وأنا عمري ١٨ سنة، يعني وأنا في السنة التانية من الكلية، كنت بحبه جدًّا ومتعلقة بيه، أخويا شاف إن أفضل حل أخرج بيه من حالة الحزن دي إني أنزل أتدرب على شغلي في المحاسبة معاه في نفس الشركة، وهناك اتعرفت على زوجي، وهو صاحب الشركة، حسيت إنه زي والدي وعوضني بحنيته عن غياب والدي عني، ولمَّا اتقدم عشان يتجوزني وافقت على طول عشان يفضل جنبي؛ لأني ما صدقت لقيت والدي تاني، لكن حساباتي كانت غلط؛ لأنه كان عايزني زوجة مش ابنة، وأنا كنت محتاجة أب مش زوج، وده الغلط اللي وقعت فيه خلاني أكرهه كزوج، بس محتاجاه كأب، فكنت بهرب منه كزوجة، وهو كان حاسس بهروبي منه، وكنت بتعلل بإن ده خجل، وهو كان بيعمل مصدق رغم إنه عارف إني بكدب عليه، اتصدمت لما عرفت إني حامل، كنت بين فرحانة إني خلاص فيه طفل ح يقول لي: ماما، وبين إحساسي بالخطيئة؛ لأني حامل من والدي، عشان كده كان لازم أروح لدكتور نفسي يساعدني على تجاوز المحنة، ولما تقبلته كزوجي وأبو ابني شفت فيه حاجات كتير حلوة مكنتش شايفاها وأنا بتعامل معاه كأب بس، بجد إنسان رائع بيساوي بيني وبين مراته الأولى، ومساوي بين ابني وأولاده من زوجته الأولى، بجد إنسان رائع وعمري ما كنت أتوقع من

فارس الأحلام إنه يحبني كده، سؤالي لـ "يحيى"، إيه اللي خلاك تحب نورا وتخطبها؟

يحيى: أنا زيها تقريبًا، حاولت أنتحر كتير وكرهت حياتي، هربت من حياتي في الصعيد وجيت على القاهرة أشتغل فيها، كنت حاسس بالغربة عن أهلي وعن مكاني، عشان كده دوَّرت على مكان جديد، يمكن إحساس الغربة يضيع، وللأسف فضل الإحساس ده ملازمني لغاية لمَّا اخترت أقرَّب من ربنا، حسيت إن الإحساس ده قلّ شوية، ولمَّا شفت مشكلة نورا حسيت إنها زيي وإحساسي طلع صح، هي فعلًا زيي، الغربة قتلتها وكان حلها الوحيد إنها تقرب من ربنا، وأنا معاها مش بحس بغربة، لأول مرة إحساس الحب يسيطر عليا، وأنا كنت ناوي لا أحب ولا أرتبط، بس معاها حسيت إنها ليا وإنها حب حياتي، عشان كده دخلت من الباب، وقررت أخطبها، السؤال دلوقتي لـ "مغتربة"، إيه اللي غيَّر حياتك؟

مغتربة: أنا البنت الوحيدة لأسرة مكونة من خمس أفراد؛ ليا أخ أكبر مني والتاني أصغر مني، طول عمرهم بيعاملوني على إني غلطة، وكان إحساس الغربة مسيطر عليا ومش عارفة أعمل إيه، حتى جوزي هما اللي اختاروه، لا حبيت ولا عرفت الحب قبل الجواز، الصراحة إن زوجي كان كويس معايا، والحب جه عن طريق العِشرة، بس سيطرة رغبته في الأطفال كانت المشكلة بيننا

لمَّا عرف إني مش هخلف بعد ابني التاني، وبُعدُه عني خلاني مغتربة عن بيتي وأولادي، حتى أولادي ليهم مربيات، يعني حتى أولادي أنا مش حاسة ناحيتهم بالقرب، بالعكس حسيت ببعدهم عني، وجِه جواز زوجي من واحدة تانية ضربة قاضية، سيطر عليّا الاكتئاب فترة لغاية ما فكرت إن لازم يكون في حياة خاصة بيّا أنا، بتاعتي أنا، وفعلًا حققت ده، الحياة دي خلتني قادرة أعيش بدون إحساس الغربة، وسامحته على جوازه من واحدة غيري خصوصًا إنه عادل بيننا، بعد ما بعدت عنه فترة فكرت إن البعد مش حل، وفكرة الطلاق ممنوعة في عيلتنا كان لازم أتأقلم مع الوضع الجديد، بس ده كان لازم وأنا إنسانة جديدة، وغيرت حياتي بالاشتراك في الأنشطة المختلفة ومعرفة ناس جديدة، السؤال لـ "نورا"، هل إحساس الغربة ضاع؟

نورا: إحساس الغربة كان مسيطر عليّا زي يحيى، وكلماته ليّا على الخاص خلتني أعيد حساباتي في حياتي كلها، وقربت من ربنا، وبطلت الخمور والمخدرات، ولأول مرة أحس إني حد جديد، مش محتاجة أهرب، أنا محتاجة أتغير، وده اللي حصل مع يحيى، وفعلًا إحساس الغربة ضاع، وعلى فكرة أنا لبست الحجاب كمان.

النهاية
عائلة غريب

تغيرت سميحة بعد اشتراكها في الأنشطة المختلفة في النادي، وعادت مرةً أخرى لغرفتها المشتركة مع غريب، وسامحته على زواجه من أخرى؛ حيث وجدت أن البعد ليس الحل لمشكلتها، وتقبلت زواجه من أخرى، ولكنها اشترطت عليه عدم ذكر الزوجة الثانية أمامها احترامًا لمشاعرها، وبالفعل وافق غريب على ذلك، ووافق على حياة سميحة الجديدة بعدما وجد أن خروج سميحة ومعرفتها بأشخاص جدد وشعورها بالمساهمة في أنشطة مفيدة للمجتمع قد جعلها إنسانةً جديدة، كما اشتركت سميحة في تربية أبنائها، وجعلت دور المربيات مقتصرًا على أمور محدَّدة، وقامت هي بعمل جدول لهما للمذاكرة، وساعدتهما فيها، وبدأت تصطحبهما معها للنادي، وتختار أصدقاءهما، مع ترك مساحة من الحرية لهما حتى لا يشعروا بالغربة التي شعرت هي بها، ودخل كل منهما الكلية التي اختارها حيث كانا متفوقَيْنِ دراسيًّا، دخل محمد كلية الهندسة ودخل أحمد كلية الطب، ولكنهما فضَّلا بعد التخرج مشاركة والدهما أعماله.

تخطت وفاء شعورها أن غريب والدها، وتقبلت زواجها منه، وكانت علاقتها مستمرة مع سميحة عندما تراها في النادي، أنجبت وفاء مصطفى وعلي ومحمود، فرح غريب بأولاده فقد حقق أخيرًا إمبراطورية السنمودي التي كان يحلم بها منذ زواجه من سميحة، شعر غريب بالتحول في حياة وفاء؛ فقد أصبحت تتجاوب معه أخيرًا كزوج، لم يعد الصياد الذي يستمتع بالفريسة مما أسعده حقًّا، دخل أولاد وفاء كليات التجارة والحقوق، وشاركوا غريب في عمله، وكانت علاقتهم جيدة بمحمد وأحمد، ولم يفرِّق غريب بينهم.

كانت معاملة غريب عادلةً لكل أبنائه ولزوجتيه، وكبرت أعماله، وأصبحت إمبراطورية لها فروع في القاهرة والمحافظات، وعاش غريب حتى وصل للثمانين من عمره، وعامل ممدوح على أنه فرد من العائلة، وجعله يترقى في الوظائف حتى أصبح عضو مجلس إدارة في شركة غريب، وأنجب ممدوح ميار وعلا، وتزوجت ميار من أحمد، وعلا من مصطفى.

عائلة محمد عدنان

تزوج محمد من زهرة، واحتفظ كل منهما بهويته السرية على جروب يوميات مغترب، وظل الجروب بأعضائه القدامى، تعالجت زهرة نفسيًّا، وأصبحت شخصًا جديدًا قادرًا على مواجهة العالم، عندما علمت ندى خبر زواج زهرة من محمد، شعرت براحة لتأكدها من عدم تفكير زهرة في الرجوع مرة أخرى لعادل، وشعر عادل بالراحة الشديدة بعد خبر زواج زهرة؛ فهو لم يكن يعرف حقيقة مشاعره تجاه زهرة، ولكنه وبعد زواجها تأكد أن المشاعر التي كان يشعر بها تجاهها كان سببها شعوره بالذنب والمسئولية تجاهها وما سبَّبه من آلام.

الآن تحرر من شعوره بالذنب تجاهها، وأصبح تركيزه على حياته وبيته، وطلب من ندى أن تفكر في طفل جديد، فولدهما الآن يبلغ من العمر عامين، وعادل يريد أن يشعر بفرحة مكتملة لا ينغصها إحساس بالألم أو الذنب.

بعد أن انصرفت زهرة من عيادة طبيبة النساء، اتصلت بمحمد وقالت له: إنها تريده في أمر مهم، وقال لها أن تمر عليه في العيادة ولا تنتظره حتى يعود مساءً، وبالفعل ذهبت زهرة للعيادة،

كانت أول مرة تذهب لعيادته منذ أن تعرفت عليه، انتظرت حتى انتهى آخر كشف ودخلت لمحمد، لم تعرف كيف تزف له خبر حملها، ولكن وجدت نفسها تحتضنه بشدة، وتخبره بأمر حملها.

مرت سبعة أشهر على حمل زهرة، وفاجأتها آلام المخاض في الفجر، ذهبت مع محمد للمستشفى، وولدت في شهرها السابع، لم يخبرهما الطبيب من قبل أنها تحمل في أحشائها ثلاثة توائم. ولدت زهرة أولادها محمود وأحمد وعلياء.

اهتمت زهرة في تربية أبنائها بكل ما افتقدته هي في حياتها، اهتمت بأن تعلمهم كيف يكونون أنفسهم، كانت القراءة والمعرفة هما أول ما اهتمت زهرة بتعليمه لأولادها، واهتمت مع علياء أن تعلمها كيف يجب أن تكون الأنثى، كيف يكون لها حياة ورأي، كيف تعبِّر عن نفسها ولا تكون تابعًا لشخص آخر، علمتها - كما علمت باقي أبنائها - كيف يكون الاختيار، وضرورة تحمُّل مسئوليته بدءًا من الملابس والكتاب الذي يفضِّلونه ودراستهم، حتى الزواج واختيار الزوج المناسب.

تزوج أولاد زهرة جميعًا، وأصبحت جدة لسبعة أحفاد، وقررت أن تبدأ هي ومحمد شهر عسل جديدًا، يكون لهما وحدهما دون شريك، لم يُخرجهما منه سوى مرض زهرة

الشديد، اكتشفت زهرة منذ سنة إصابتها بورم في الثدي ولكنها لم تخبر أحدًا، قررت أن تكون قويةً وتتحمل.

لقد كانت زهرة متمردة في حياتها وحتى في وفاتها، تمردت زهرة على مجتمع كان يفرض على الأنثى أن تكون تابعًا، واختارت حياتها التي تريدها، طلبت الطلاق وأعلنت التمرد على مجتمع ينظر للمطلَّقة على أنها جرثومة يجب القضاء عليها، تمردت على مجتمع يجد أن الطلاق نهاية حياة وبدأت حياتها الحقيقية بعد الطلاق، تمردت على كل شيء لتعيش وتحيا؛ وها هي حتى في مرضٍ يدمر كل شيء كانت أقوى منه، كانت تتألم في صمت، ماتت المتمردة، بعدما ورَّثت تمردها لابنتها، وعلمتها أن تتمرد على كل ما يقيِّد حريتها، علمتها أن الحرية في طاعة الله ﷻ فقط، أما المجتمع والعادات والتقاليد فهي تتغير من وقت لآخر وعليها أن تغيرها بيدها وألا تنتظر أحدًا ليغيرها.

إسلام

ظل إسلام على حاله من الإحساس بالغربة، لم يُحضر زوجته لتقيم معه خاصةً بعد أن أنجبت له ابنه حسام، وظلت على وضعها تتعامل مع إسلام على أنه بنك، لم تشعر معه أنها تزوجت، فهو لا يأتي سوى شهر كل عام، وأحيانًا يرسل لهم لزيارته، أصبح إسلام أبًا لثلاثة من الذكور حسام وعلي وعمار. كان يعتقد أنه سيكوِّن نفسه وينشئ مشروعه الخاص قبل أن يصل لسن الأربعين، إلا أنه ظل في الغربة حتى أتم سن الستين.

عندما عاد إلى أسرته زاد شعوره بالغربة؛ فأولاده كانوا يتعاملون معه على أنه زائر يأتي ويعود أدراجه، كانت المشاكل كثيرة مع أولاده وزوجته خاصةً بعد أن وزَّع ما حصده خلال أعوام عمله في الغربة على أولاده بالتساوي وأيقن إسلام أنه أصبح نسخةً من عم صابر، إلا أن عم صابر مات في الغربة، ولم يشعر بما يشعر به إسلام الآن، قد فات الآوان على الندم، فهو لم يسمع لكلام ولاء بإحضار زوجته معه في الغربة، وها هو الآن غريب وسط عائلته وأهله.

توفيت والدة إسلام بعد ولادة ابنه الثاني، ندمت هي الأخرى

على الضغط على إسلام ليتزوج من زوجته الحالية بعد أن رأت سوء المعاملة التي كانت تعاملها بها، وظلت لوالدة إسلام حتى وفاتها الكلمة الأولى والأخيرة على أولادها جميعًا، ونجحت في جعلهم أسرةً واحدةً يخاف كلٌّ منهم على الآخر.

لم يتعلم إسلام مما حدث معه، وضغط على أولاده للزواج من بناء عمومتهم فتزوج حسام من وفية ابنة عمه، وتزوج عمار من أختها علية، أما علي فتزوج من خلود ابنة عمته، انتقل شعور الغربة لأبنائه، فكلٌّ منهم لم يشعر بأنه ينتمي للأسرة التي اختارها إسلام، توفيت زوجة إسلام بعد وصوله لسن الستين بعام واحد. وسأل على علياء، وعلم أنها أرملة الآن، وأخيرًا تقدَّم للزواج منها ليحقق حلمًا قديمًا وينعشه، إلا أن علياء لم توافق عليه، وتذكرت إهانة والدته لهم، وشعرت أنها ردت هذه الإهانة برفض إسلام بعد مُضي كل هذه السنوات.

عائلة يحيى

تزوج يحيى ونورا بعد أن قرر د. محمد قدرة نورا على بدء حياة جديدة، وتخلُّصها من عقدة الذنب تجاه طلاق والديها، وحفظت نورا القرآن الكريم كاملًا، وأصبحت إنسانةً جديدةً مقبلةً على الحياة، وتخلصت من شعورها بالغربة، فقد احتواها يحيى وتخلص هو الآخر من شعوره بالغربة، ترقى يحيى في عمله حتى أصبح مدير قسم الحسابات في الشركة التي يعمل بها، وأنجب محمد ونورا، لقد أحب أن يطلق اسم زوجته على ابنته لشدة حبه لنورا، الأنثى الوحيدة التي جعلته ينسى شعور الغربة، ويستطيع القرب من والدته ووالده وأخوته، أخيرًا شعر أنه ينتمي لهذا العالم، وهذه الأسرة الكبيرة. كانت سمية تشكره دائمًا على أنه وضعها على بداية الطريق السليم، وعلى زواجها من ممدوح، فهي الأخرى تخلصت من شعورها بالغربة بعد زواجها من ممدوح الذي أحبها حبًّا جمًّا.

ظل يحيى في جروب يوميات مغترب يسدي النصح لكل مغترب علَّه يستطيع أن يبعد ذلك الشعور البغيض عن أحدهم، وساعدته نورا في ذلك.

تمت

القاهرة ٢٠١٧

الكاتبة في سطور

♥ شيرين مصطفى مُترجمة وتهوى الكتابة، صدر لها رواية اليتيمة عن دار الشهد للنشر والتوزيع وحققت مبيعات ممتازة في معرض الكتاب٢٠١٦.

♥ حاصلة على بكالوريوس إعلام جامعة القاهرة ودبلومة في الترجمة القانونية وترجمة الأمم المتحدة من الجامعة الأمريكية، تعمل في مجال الترجمة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا وتهوى القراءة والكتابة لها مدونة باسم مدونة شيرين مصطفى منذ عام ٢٠١٥، وصفحة على الفيس بوك بنفس الإسم.

♥ عضو في لجنة قراءة دار الشهد للنشر والتوزيع. تحب القراءة لكتاب مثل دعاء عبد الرحمن، ودينا عماد، وشيماء عبد العال، ومحمد صادق

رابط المدونة

https://sherienmostafa.blogspot.com.eg/

رابط صفحة الفيس بوك

https://www.facebook.com/sherienmostafablog/

الفهرس

الإهداء ٣
مقدمة ٤
سميحة ٥
الزيجة الثانية ١٥
وفاء ٢٠
عودة ٣١
زهرة ٣٤
محمد ٤٦
يحيى ٥٠
الكافيه ٥٦
نورا ٨١
الوليد ٨٤
زواج ٨٧
طلاق ٩١
مواجهة ٩٦
وحدة ٩٩

حب..... ١٠٧
حياة جديدة ١١٠
على حافة الانهيار ١١٤
شائعات..... ١١٨
وصال..... ١٢٥
غريبة بلا وطن..... ١٣٠
صراحة..... ١٤١
النهاية ١٤٦
عائلة غريب ١٤٦
عائلة محمد عدنان ١٤٨
إسلام ١٥١
عائلة يحيى..... ١٥٣
الكاتبة في سطور ١٥٤